

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية
شعبة اللغويات

بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

مذكرة ليذل شهادة الماجستير

إشراف الأستاذ الدكتور:

صالح خديش

إعداد الطالبة:

خديجة محفوظي

لجنة المناقشة:

- | | | | |
|---------------|----------------------|-------------------|------------|
| رئيسا | جامعة منتوري قسنطينة | محي الدين سالم | 1- الدكتور |
| مشرفا و مقررا | جامعة منتوري قسنطينة | صالح خديش | 2- الدكتور |
| عضوا مناقشا | جامعة منتوري قسنطينة | محمد الأخضر صبيحي | 3- الدكتور |
| عضوا مناقشا | جامعة منتوري قسنطينة | يحي بعبطيش | 4- الدكتور |

السنة الجامعية: 2007/2006

المقدمة

المقدمة:

لقد وجدت "النظرية الحجاجية" "Theoire de l'argumentation" إرهاباتها التنظيرية الأولى عند الفيلسوف "أرسطو" في كتابه "الريطوريقا" أي الخطابة"، و شهدت هذه النظرية انبعثا جديدا مع نخبة من الباحثين المحدثين "كشاييم بيرلمان" "ch.prelman" و زميله "أولبريشت تيتيكا" "O.tyteca" و "أزوالد ديكرود" "Oswald ducrot" و زميله "أنسكومبر" "jean-claude" "Anscombre" و مايير "Michel Mayer".

و يرى "بيرلمان" أن ما ينبغي أن يحتفظ به من البلاغة التقليدية إنما هو فكرة المستمعين⁽¹⁾ ويصرح "بيرلمان" بأنه اعتمد على البحوث الفلسفية و خاصة المنطق في أبحاثه حول الحجاج الذي وصفه بأنه آلية الإقناع الرئيسية.

و لكن بتطور الأبحاث اللسانية انتقل مركز الاهتمام من الجملة إلى الملفوظ. و باتساع مجال الأفعال الكلامية التي تنتمي إلى علم الدلالة اللساني، يوسع "أزوالد ديكرود" أبحاثه، ففي العديد من مؤلفاته يؤكد على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب الذي وضعها "جرايس" "H.PGrice" و الحجاج. فاهتم "ديكرود" بالحجاج في اللغة، فيكون إبرازة للحجج بالاعتماد على البنية اللغوية للأقوال. و أهم نتائج أبحاثه السلم الحجاجي.

و يكون التعامل مع البنية الحجاجية بتوخي مقاصد عديدة منها الرغبة في التأثير و التوجيه و الإقناع، لأن المحاج يحاول التأثير على المتلقي، إما لإبعاده عن الأطروحة النقيض و إما ليغير رأيه.

أما النموذج المخصص للدراسة هو الخطبة العربية، لأنها أشد الأنواع الأدبية إلتزاما، و لأنها تهدف دائما إلى التأثير و الإقناع بإقامة الحجة، و بعد الإطلاع الجاد على جوانب الموضوع قمت باختيار مجموعة من خطب العصر الأموي لدراستها، و قدمت هذه الدراسة تحت عنوان "بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي".

و لقد حاولت في هذه الدراسة إبراز الوظيفة الحجاجية التي تحتويها الخطب المختارة، فكان الحجاج المتبع في التحليل هو حجاج لغوي بالدرجة الأولى، فرصدت بعض الظواهر اللغوية من توكيد و عطف و إستعارة إلخ. التي تحتويها النصوص مع مراعاة حال المتكلم

(1) فضل صلاح ، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ط1، 2000، ص ص 94، 95.

و مقاصده، و كذلك السامع ومنزلته من الخطاب أي البحث في عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازها و أدائه.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة فقد كان مزيج بين المنهج التاريخي، و ذلك في عرض تاريخي للخطبة في العصر الأموي، و كذلك في تتبع الدرس الحجاجي عند القدماء و المحدثين، أما المنهج المخصص للقسم التطبيقي من الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يبحث في خصائص ببنية الملفوظ الحجاجي للخطبة.

و تعد هذه الدراسة محاولة لتطبيق نظرية لسانية حديثة على اللغة العربية مساهمة في التعريف بنظرية الحجاج في ضوء النصوص العربية، و بمقاربتها مع الدراسات الغربية الحديثة.

و اعتمد الموضوع على مجموعة من المراجع العربية مثل:

- اللسان و الميزان - طه عبد الرحمان.

- بلاغة الخطاب و علم النص - صلاح فضل.

- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري.

أما المراجع الأجنبية فقد اعتمدت ما كان متصلا ببحثي مباشرة و لهذا كانت قليلة نوعا ما.

فاستفدت من كتاب "أزوالد ديكر و" "الحجاج في اللغة" "L'argumentatio dans la langue" وقد استفدت من رسالة الأستاذ الدكتور "صالح خديش" التي عنوانها "لسانيات الملفوظية و دراسة الوصلات في اللغة العربية".

واعتمدت في الفصل التطبيقي على رسالة الأستاذ الدكتور "خليفة بوجادي" التي عنوانها:

"خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي، دراسة في الوظيفة التداولية"

و اعتمدت كذلك على مجموعة من المجالات، كمجلة عالم الفكر، و مجلة اللغة و الأدب.

كما استفدت أيضا من المصادر العربية التي ظهر الحجاج فيها بتسميات و مظاهر مختلفة،

كالبيان و التبيين للجاحظ، و دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للرجاني، و كذلك مفتاح العلوم للسكاكي و غيرهم من المؤلفات.

كما واجه البحث جملة من الصعوبات كالقصور في اللغة الأجنبية، و عدم الإطلاع على مصادر المعرفة العربية و غير العربية لحاجة الموضوع إليها: مثل كتب الفلسفة و المنطق و الاستدلال و علم الكلام. و اقتضت متطلبات البحث أن يقسم إلى ثلاثة فصول مسبوقه بمدخل. المدخل: ضبط فيه المصطلحات الآتية:

- البنية.
- الخطابة.
- الملفوظ.
- الحجاج.

الفصل الأول: وهو فصل نظري تاريخي، حصر في ثلاثة مباحث هي:

- الأحزاب السياسية.
- اعتماد الأحزاب السياسية على الخطابة.
- خطب الأحزاب السياسية.

الفصل الثاني: يعالج فيه الحجاج عند العرب القدماء، الحجاج عند الغرب (بيرلمان، تولمن، ديكرو).

الفصل الثالث: هو فصل تطبيقي، حصر في أربعة مباحث هي:

- بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة الحجاج بن يوسف في أهل العراق.
- بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة أبي حمزة الشاري في أهل المدينة.
- بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة عبد الله بن الزبير في قتل أخيه مصعب.
- بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة عبد الله بن عباس يردّ على عبد الله "بن الزبير" و قد عاب بنى هاشم.

و أتقدم ختاماً بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور "صالح خديش" على جميل رعايته و حسن متابعته العلمية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور "رابح دوب" الذي قدم كل التسهيلات للإستفادة من مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

و جزيل الشكر و بالغ الإمتنان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتكرمون لقراءة هذه المذكرة لإفادتنا بأرائهم القيمة و توجيهاتهم السديدة.

المدخل

- 1 - مفهوم البرنية.
- 2 - مفهوم الخطية.
- 3 - مفهوم الملقوظ.
- 4 - مفهوم الحجاج.

المدخل:

(1) مفهوم البنية:

"حدد ابن منظور مفهوم البنية" بقوله "البنية و البنية ما بنيته، و هو البنى و البنى
يقال: بنية و هي مثل رشوة ورشا كأن البنية الهيئة التي بنى عليها مثل المشية و الركبة. و
البنى بالضم مقصور، مثل البنى. يقال بنية و بنى و بنية و بئى، بكسر الباء مقصور، مثل
جزية و جزى. وفلان صحيح البنية أي الفطرة، و أنبت الرجل: أعطيته بناء و ما يبتنى به
داره"⁽¹⁾ فالبنية هنا تعني الهيئة.

و حظيت "البنوية" "Structuralisme" عند الغرب باهتمام النقاد و الدارسين، و فهي
امتداد لمدرسة الشكلانيين الروس، كما تعد توجهًا نقديًا حديثًا يقر بصعوبة تحديد مفهوم "البنية"
"Structure"، وقد يكون هذا راجعًا إلى طبيعة المنهج ذاته إذ "ارتبطت البنوية في أساسها
الفلسفي العام بكثير من العلوم و الميادين و النشاطات الفكرية المختلفة"⁽²⁾، و نجد "ميشال فوكو"
"Michel Foucault"، وهو أحد رواد المنهج البنوي يقول "ليست البنوية منهجًا جديدًا، إنما
هي استيقاظ الوعي الحائر للمعرفة الحديثة"⁽³⁾ كما نجد "كلود ليفي شتراوس" - Claude levi
Straus في تعليقه حول مصطلح البنية يقول "ليس مفهوم البنية على الأرجح سوى تعبير
نستخدمه لأنه رائج. إن اللفظ المحدد يمارس سحرًا فريداً بضع سنوات، هكذا كلمة- الديناميكا
الهوائية- ونشرع في استعماله بلا (تبصر)، لاشك في إمكان دراسة الشخصية النموذجية من
زاوية البنية، و لكن يصح الشيء ذاته فيما يتعلق بتنسيق فيزيولوجي، أو هيئة أو مجتمع أو
بلور، فكل شيء ما لم يكن معدوم الشكل يملك بنية، و بذلك لا يضيف لفظ بنية إلى ما في
أذهاننا سوى ملاحظة لطيفة"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير/ محمد أحمد حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة مادة (بنية) ج1، ص 365.

⁽²⁾ الطيب دبه ، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2001، ص 45.

⁽³⁾ Piaget(Jean), Le structuralisme, presses universitaire de France, paris, 1974, P95

⁽⁴⁾ ليفي شتراوس كلود ، الأنثروبولوجيا البنوية، ت/صالح مصطفى، منشورات الإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص 21.

فيوضح تعريف كلود ليفي شتراوس: العلاقة الوطيدة بين البنية و الشكل، و نجد ذلك عند دراسة الشكلايين الروس للأدب فقد "حلت (البنية) محل الشكل و الأداة"⁽¹⁾، و تطرق إلى هذه الفكرة، أيضا العالم الألسني "فردينان دوسوسير" "Ferdinand de Saussure" إذ حلّ مفهوم البنية عنده محل "النظام"، و في مجال أبحاثه اللسانية يقول عن "اللغة إنها نظام إشاري (سيمولوجي)، تتحول الكلمة فيه إلى إشارة (Signe)، تتكون من دال (Signifiant) و مدلول (Signifie) ويشترط فيه ألا تكون خارج ذلك النظام اللغوي، حتى لا تبقى معزولة، و هي بتعددتها و تنوعها تتحول إلى شبكة من العلاقات و بذلك تكون البنية، و البنية إذا تعددت و ارتبطت بغيرها تحولت إلى نظام"⁽²⁾

والممتنع للمفهوم الاصطلاحي لكلمة بنية يجدها تدور حول فكرة النظام، إذ لكل نص بنيته الشاملة التي تعتبر كنظام إشاري تتجزأ عنها جزئية متناسقة متظافرة، لأن الكل هو أساس أي دراسة تنتمي إلى المنهج البنيوي.

وهذا ما يؤكد: جون بياجيه "Jean Piaget" الذي يعرف البنية بأنها "كل مستقل مغلق، نشأته المسبقة تبدو حتمية"⁽³⁾ و لهذا الأساس يقدم "سعيد يقطين"، تعريفا واضحا للبنية النصية بقوله "إن النص كبنية دلالية هي جماع بنيات داخلية يتكون منها يتم إنتاجه ضمن بنية نصية أكبر و علاقة النص بهذه البنية النصية هي علاقة صراعية، أو لنقل جدلية تقوم على أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم أو البناء"⁽⁴⁾

و إنّ دراسة الملفوظات الحجاجية للنصوص الخطابية، سنقوم فيها بتحليل البنى المكونة لبنية الملفوظ الحجاجي للخطب، بحيث تنشأ هذه البنى من تظافر العناصر التي يقوم عليها الحجاج.

⁽¹⁾ عدنان زريل ، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 34.

⁽²⁾ عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للطبع /المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص33.

⁽³⁾ Piaget(Jean), Le structuralisme. P5.

⁽⁴⁾ محمد فكري جزار ، لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية، لمستويات بناء النص في شعر الحدائث، إيتراك للطباعة و النشر و التوزيع ط2، 2002، ص219.

(2) مفهوم الخطبة:

اهتم الفلاسفة و البلاغيون الغربيون منذ القديم بالخطابة، إذ حمل "أفلاطون" في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة"⁽¹⁾، أما تلميذه "أرسطو"، يقيم الخطابة على الأسس التي حاربها "أفلاطون"، أي على أسس الاحتمال و الإمكان حسب الأحوال، و يعرف هذا الأخير الخطابة بقوله "الريطورية هي القوة التي تتكلف الإقناع الممكن بقوفي كل واحدة من الأمور المفردة"⁽²⁾

كما احتلت الخطابة أيضا مكانة بارزة عند العرب فحدد ابن منظور مفهوم كلمة الخطبة بقوله: "الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا، و هما يتخاطبان (...). و الخطبة مصدر الخطيب، و خطب الخاطب على المنبر، و إخطب يخطب خطابة، و اسم الكلام: الخطبة، (...). و هو أن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز على وجه واحد، و هو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب،، أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع و نحوه. التهذيب: و الخطبة مثل الرسالة لها أول و آخر.

ورجل خطيب: حسن الخطبة، و جمع الخطيب خطباء.... وخطب ... صار خطيبا"⁽³⁾. و في التعريف اللغوي إشارة إلى موضوع الخطبة و شكلها، كما حاول "ابن وهب" في كتابه البرهان أن يعطي تعريفا إصطلاحيا لهذه الكلمة في قوله "إنّ الخطبة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة و اشتق ذلك من الخطب و هو الأمر الجليل، لأثّه إنّما يقام بالخطب في الأمور التي تجل، و الاسم منها خاطب مثل راحم فإذا جعل وصفا لازما قيل خطيب، و الخطبة الواحدة من المصدر و الخطبة الكلام المخطوب به و الخطابة و الخطاب اشتقا من الخطب و المخاطبة لأنهما مسموعان"⁽⁴⁾.

(1) محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب/لبنان، ط2، 2002، ص13.

(2) بدوي طبانة ، النقد الأدبي عند اليونان، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، ط1 ، 1967، ص149

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، ج2، ص 1194، 1195.

(4) محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 17.

و أشار "ابن وهب" إلى موضوع الخطبة ووظيفتها، أما "أبو هلال العسكري" أشار إلى شكل الخطبة في قوله "واعلم أنّ الرسائل و الخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن و لا تقفية"⁽¹⁾

و الملاحظ أن علماء العرب القدماء، عرفوا كلمة الخطبة و حددوا مفهومها لغة و اصطلاحاً، أمّا حديثاً فنجد "عبد الجليل عبده شلبي" يعرف الخطبة بأنها في "الأصل فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأياً من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي و بمعنى أشمل هي فن المخاطبة بطريقة إقائية تشمل على الإقناع و الاستمالة"⁽²⁾. و نلاحظ أن الخطابة في هذا التعريف تتقاطع مع الحجاج لأن كلاهما يعتمد على الإقناع و الاستمالة.

أما في الأخير و على حدّ قول "بارث" "R-Barthes" و لعل الأهم من التعريف.....، هو كونها: وسيلة إنتاج واحد من الأشياء التي يمكن أن تكون أو لا تكون بدون تمييز، و التي مصدرها الشخص المبدع و ليس الموضوع المبتدع"⁽³⁾

3- مفهوم الملفوظ:

قدم "ابن منظور" في معجمه المعنى اللغوي لكلمة "الملفوظ" قائلاً "لفظ: اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك، و الفعل لفظ الشيء.....و ذلك الشيء لفاضة.....، و اسم ذلك الملفوظ لفاضة ولفاظ ولفيظ ولفظ.....، لفظ الشيء و يلفظ لفظاً، فهو لفظ و لفيظ، ولفيظ: رمى، و الدنيا لفاضة تلفظ بمن فيها إلى الآخرة، أي ترمي بهم.....، ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً: تكلم و في التنزيل العزيز: "وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" * . ولفظت بالكلام و تلفظت به، أي تكلمت به. و اللفظ: واحد الألفاظ: وهو في الأصل مصدر".⁽⁴⁾

(1) العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق على محمد البجاوي/ محمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، 1986، ص60.

(2) فاروق سعيد، فن الإلقاء العربي الخطابي و القضائي و التمثيلي، شركة الجبلي للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، ط2، 1999، ص45.

(3) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 19.

* سورة (ق) الآية 18

(4) ابن المنظور، لسان العرب، مادة (لفظ)، ج5، ص 4053.

و المتتبع للمعنى اللغوي لهذه الكلمة، يلاحظ أن الدلالة الأولى التي تتعلق بها هي الانتقال من موضع إلى موضع آخر (الدنيا لافظة تلفظ بمن فيها إلى الآخرة، أي ترمي بهم). و نفهم أن الرمي أراد به انتقال الناس من الدنيا إلى موضع آخر وهو الآخرة. أما الدلالة الثانية لها و هي (التكلم)، و هذا المعنى قريب من المفهوم اللساني الحديث للغة، الذي يقوم على ثنائية فردينان دو سوسير "Ferdinand de Saussure" (لغة/كلام).

أما "الملفوظية"⁽¹⁾ "Lénonciation" عند الغرب هي اتجاه جديد يهتم بدراسة اللغة، و أول من أشار إلى هذا المصطلح "شارل بالي" "Charles Bally" حيث اعتبرت أسلوبيته هي نفسها الملفوظية في مرحلة متقدمة أي لم تكتمل كاتجاه قائم بذاته.

لكن تبلور هذا المصطلح بشكل واضح في نهاية الستينات، بفضل جهود اللساني الفرنسي "إميل بنفنيست" "Emile Benveniste"، و تتمثل جهوده في تطوير ثنائية "دو سويسر" (اللغة/كلام)، كما اعتمد أيضا على مفاهيم التداولية في تفسير علاقة المتكلم بلغته، التي تحدد الخصائص اللسانية للملفوظية، و بذلك أصبحت التداولية جزءا مكتملا للملفوظية.

و يعرف "بنفنيست" الملفوظية بقوله "هي وضع اللغة موضع اشتغال بفعل الاستعمال الفردي"⁽²⁾ و يستنتج من تعريف الملفوظية أن دراسة اللغة تكون ضمن العملية التواصلية، إذ تتحقق بفعل استعمال اللغة بين المتكلم و السامع في سياق ما للوصول إلى هدف إبلاغ المعنى الكامن في هذه اللغة المستعملة.

كما أن "بنفنيست" ميز بين التلفظ و الملفوظ؛ فالتلفظ في نظره دائما هو "حدث" "Acte" التكلم نفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام /الملفوظ، أما الملفوظ هو نتاج التلفظ أي مجموع الأقوال المنجزة"⁽³⁾.

وسيكشف البحث على نوع من الملفوظات و هي الملفوظات الحجاجية.

(1) انظر، خديش صالح، لسانيات الملفوظية ودراسة الوصلات في اللغة العربية، (دكتوراه دولة في اللسانيات العامة)، قسنطينة 2004.

(2) خديش صالح، لسانيات الملفوظية ودراسة الوصلات في اللغة العربية، ص 58.

(3) يحياتن محمد، الأصالة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث أو التلفظ (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، دار الحكمة، الجزائر، ع 14، ديسمبر 1999، ص 337.

4 - مفهوم الحجاج:

إنّ المعنى اللغوي لكلمة (حجاج) في قاموس "لسان العرب" "لابن منظور"، جاء على النحو الآتي:

"حاجبته: أحاجه حجاجا و محاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ...
و الحجة: البرهان، و قيل الحجّة مادو فع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الطفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل.
و التّحاج: التخاصم، و جمع الحجّة: حجج و حجاج و حاجه محاجة و حجاجا: نازعه الحجّة.

وحجّه يحجّه حجّا: غلبه على حجّته.

و في الحديث: "فحج آدم موسى" أي غلبة بالحجّة. و احتج بالشيء: اتّخذ حجّة، قال الأزهري: إنّما سميت حجّة لأنها تحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها و إليها، و كذلك محجّة الطريق هي المقصد و المسلك...

و الحجّة: الدليل و البرهان، يقال: حاجبته فأنا محاج و حجيج، فعيل بمعنى فاعل، و منه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أغلبه بالحجّة".⁽¹⁾

يلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكلمة حجاج بأنّها مرادفة لكلمتي البرهان و الدليل، أما مضمونها يتراوح بين المعاني الآتية: التخاصم، و النزاع، و الجدل، و الغلبة. أي أن الحجاج يتم بين طرفين متخاصمين أو متنازعين و بالحجة يغلب أحدهما الطرف الآخر.

و يذكر "حبيب أعراب" أن السبب الذي جعل هذه المفردات أي: الحجّة، الدليل، البرهان، ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هو وجودها "ضمن دائرة البيان و البلاغة الإقناعية"⁽²⁾

أما في اللغة الفرنسية نجد لفظة Argumentation تشير إلى عدة معاني متقاربة، أبرزها على الخصوص، حسب قاموس "روبير" ما يلي:

- القيام باستعمال الحجج.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، ج2، ص 779.

(2) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، (مقال) مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 30، ع1، 30ديسمبر 2001، ص109.

- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
 - فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.
 وفي القاموس ذاته نجد "Argumenter" تشير إلى الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج".⁽¹⁾
 و على سبيل المقارنة فإن "المعنى اللغوي للحجاج في الفرنسية، لا يختلف في الجوهر عن معناه في العربية على الأقل في وظيفته التسويغية و الجدالية"⁽²⁾
 أما في اللغة الانجليزية الحديثة، فإن لفظة (Argument)، يشير استخدامها "إلى وجود اختلاف بين طرفين و محاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، و ذلك بتقديم الأسباب أو العلل Reasons التي تكون حجة Argument مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما"⁽³⁾

و توضح الدلالة اللغوية أن السبب الأول للحجاج هو وجود اختلاف بين طرفين حول فكرة معينة و استخدامها آلية الإقناع لدعم أو دحض هذه الفكرة. وتقترب هذه الدلالة اللغوية من الدلالة الفلسفية إذ تشير لفظة حجة Argument عند "أندريه لا لا ند" بأنها "استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها"⁽⁴⁾ ، أما مادة محاجة (Argumentation) فهي تعني:
 "أ- مسرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها.

ب- طريقة عرض الحجج و ترتيبها".⁽⁵⁾

و نلاحظ أن المعنى الفلسفي قد بين وظيفة و شكل الحجاج في الدراسات الحديثة، إذ يرى "أدام جون ميشال" ("Adam (Jean- Michel) " « أن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء و سلوكيات المخاطب أو المستمع و ذلك بجعل أي قول مدعم صالحاً أو مقبولاً (النتيجة)،

(1) Le grand robert : Dictionnaire de la langue Française, T.1, Paris, 1989, P535.

نقلا عن: حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، ص99.

(2) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، ص99.

(3) Longmen : Dictionary of contemporary english, Longman, 1989.

نقلا عن: جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 105.

(4) لالاند أندريه (André) lalande، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول A-G، تعريف خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت /باريس، ط2، 2001، ص 93، 94.

و ذلك بمختلف الوسائل، بالنظر لقول آخر (الحجة- المعطاة- الأسباب)، نقول على سبيل التعريف أن المعطاة -الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية»⁽¹⁾

يتبين من خلال هذا التعريف الوظيفي الفرق بين الحجاج و البرهان فالأول يتميز بإمكانية نقض (دحض) قضية، أما البرهان فهو لا ينقض لأن نتيجته موضوعية و يقينية، كما أن الحجاج سمته الإضمار في غالب الأحيان، أما البرهان فسمته الظهور.

أما ما يجعل مهمة تحديد مفهوم الحجاج من المهام الصعبة هو أن «ماهية الحجاج تقوم في كونه ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة، هذا الالتباس الذي لا نجد له نظير في غيره من طرق الاستدلال، و لولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس، لما تميزت طريقه عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج و البرهان»⁽²⁾.

و يعرف "طه عبد الرحمن" الحجاج بأنه «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»⁽³⁾ ويبدو أن تعريفه يهتم بالجانب الشكلي الذي يظهر به الحجاج أي «التلفظ، ومن ثم الإفهام، لكنّه لا يتجاوز ذلك إلى الغرض التداولي من الحجاج، وهو تحصيل الإقناع»⁽⁴⁾

و يجمع شايم بيرلمان " Ch. Perlman " في تعريفه للحجاج بين شكله و الغاية منه فاعتبر الحجاج بأنه «إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجّة هي تلك التي تتجح في تقوية حدّة الإذعان عند من يسمعها و بطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة»⁽⁵⁾ و حدد بيرلمان في تعريفه مجال الحجاج و هو الإقناع إذ «جعل منه لبّ العملية الحجاجية، كما اعتبره أثرا

(1) الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجاً"، (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، دار الحكمة الجزائر، ع 14، سبتمبر 1999، ص 229.

(2) طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 230.

(3) طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 231.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا/لبنان، ط1، مارس 2004، ص 456.

(5) الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456، 457.

مستقبليًا يتحقق بعد التناظر بالخطاب، لينتج عنه القرار بممارسة عمل معين أو اتخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو الإحجام»⁽¹⁾

أما مفهوم الحجاج المتداول بين الدارسين، يعد تعريف وظيفي، فنجد "ميشال مايير" "Michel Mayer" يعرف الحجاج بأنه «جهدا إقناعيا (إفحاميا)، ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه»⁽²⁾

فالحجاج كامن في اللغة، و هدفه الإقناع، و لهذا يختار المرسل أدواته اللغوية و آلياته الحجاجية، مما يجعل الحجاج في شكله النهائي «ترجيح خيار من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية على أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين»⁽³⁾

⁽¹⁾ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 457.

⁽²⁾ Mayer (Michel) Logique, Langage et argumentation, Edition, Hachell, Enuversité, 1982, 2éme ,Paris, P137.

نقلا عن: حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" ص 99.
⁽³⁾ محمد سالم و لد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 28، ع 3، مارس 2000، ص72.

الفصل الأول

الخطابة في العصر الأموي

- تمهيد

- المبحث الأول: الأحزاب السياسية

- المبحث الثاني: اعتماد الأحزاب السياسية على الخطابة

- المبحث الثالث: خطباء الأحزاب السياسية

المبحث الأول: الحجج عند العرب القدماء:

لقد كانت في الدراسات القديمة إشارات واضحة للحجاج، و يعرفه الزركشي بقوله "و هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه. و العجب من ابن المعتز في بديعه، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن، و هو من أساليبه"⁽¹⁾، فإن "استراتيجية الإقناع بالحجاج واضحة في القرآن الكريم و أقوال رسول الله صلى الله عليه و سلم"⁽²⁾؛ لأن نشر الرسالة المحمدية في وسط قوم كفار، كان يتطلب حججا قوية لإقناعهم اعتناق الدين الجديد، إذ نجد الآيات القرآنية متضمنة للأساليب الحجاجية القوية، فالرسالة موجهة للناس كافة على امتداد الزمان و تغير المكان.

و يلاحظ المنتبع لمصطلح الحجاج في التراث العربي، أنه ظهر بتسميات مختلفة إذ "الاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام، و سماه بهذا الاسم أبو حيان الأندلسي و ابن قيم الجوزية، و ابن النقيب، أما الزركشي فسماه "إلجام الخصم بالحجة" بينما علماء البلاغة يسمونه "بالمذهب الكلامي"⁽³⁾.

كما ظهر في علوم الفقه و أصوله كتاب "المنهاج في ترتيب الحجج" لأبي الوليد الباجي، و الكتاب عبارة عن "مؤلف في تقنيات الجدل"⁽⁴⁾، و كذلك ورد مصطلح الاحتجاج عند النحاة و معناه "الإعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة شعرا و نثرا"⁽⁵⁾.

أما الخطابة تعد وسيلة لتحقيق الإقناع و تغيير المفاهيم و المعتقدات، فقامت بدور إجتماعي بارز في العصر الجاهلي و تنامي دورها في العصر الاسلامي، حيث كانت الخطب من أهم عوامل النصر في زمن الفتوحات، يقول شوقي ضيف "و لا نغلو إذ قلنا إن بلدا من بلدان الفرس في العراق و إيران، و بلدان الروم في الشام و مصر، لم يفتح إلا بعد أن فتحت خطبة أحد هؤلاء القواد كخطبة المغيرة بن شعبة في القادسية، و خالد بن الوليد في اليرموك، و عقبة

(1) الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج، 3، ص 486.

(2) حمو الهادي، مواقف الحجاج و الجدل في القرآن الكريم، مطابع النهضة، المغرب، د.ت نقلا عن: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 447

(3) إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع و البيان و المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 35

(4) داود الرز، كتاب المنهاج في ترتيب الحجج (مقال)، مجلة الفكر العربي، معهد الانماء العربي، لبنان، ع42، يونيو 1986، ص 362

(5) عيد محمد، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988، ص 86

بن غزوان في فتح الأبله⁽¹⁾

و شهدت الخطابة تفاعلا كبيرا مع البلاغة لأن الخطابة -عربيا- هي نوع من القول و التخاطب. أما البلاغة فهي بعد أسلوبية في هذا القول⁽²⁾، و هي تستعمل الأدوات البلاغية للتأثير في المتلقى و استمالته.

كما أن الحضور بارز للحجاج و ملامحه في التراث البلاغي و النقدي العربي، و سنتناول في هذا البحث موضوع المقام و البيان، للكشف عن خطوط التماس بين الدراسات القديمة للحجاج و الدراسات الحديثة.

و تناول الجاحظ (ت 255 هـ) استراتيجية الإقناع في كتابه "البيان و التبيين"، حين أشار إلى الخصائص النفسية للخطيب باستشهاده بما ورد في صحيفة "بشر بن المعتمر يقول فيها "خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك و إجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها و أشرف حسبا و أحسن في الأسماع و أحلى في الصدور، و أسلم من فاحش الخطاء، و أجنب لكل عين و غرة من لفظ شريف و معنى بديع، و أعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالك و المطاولة و المجاهدة، و بالتكلف و المعاودة"⁽³⁾، و لم يكتف "الجاحظ" بذلك، بل حاول ربط مفهومى البيان و البلاغة بالطبيعة النفسية للخطيب، فيقول "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة"⁽⁴⁾ و يتضح في النص "أن الغاية القصوى عند الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشفوي، و هو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) و تحدد الأولى طبيعة الثانية و شكلها حسب المقامات و الأحوال"⁽⁵⁾.

(1) شوقي ضيف، العصر الاسلامي، دار المعارف، ط 16، ص 108

(2) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، مج 30، ع 1، 10 سبتمبر 2001، ص 108.

(3) الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) البيان و التبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، مج 1-2، ط 2، 2003، ص 98، 99.

(4) الجاحظ، البيان و التبيين، مج 1-2، ص 71

(5) إرود إيش/د.و. فوكيما/ فان ديك/ جان كوهن /كبيدي فاركا/ جان ستارو بانسكي، نظرية الأدب في القرن العشرين، ت/ محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، فبراير 1997، ص 126

الفصل الأول: المعالج عند العرب القدماء و الغرب

و تركز صحيفة "بشر ابن المعتز" الحديث عن المقام و مراعاة الأحوال، فيقول فيها "و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، و كذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحرار المنفعة ، مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال"⁽¹⁾ كما ورد في الصحيفة نص آخر، يتحدث فيه "ابن المعتز" عن أقدار السامعين و مراعاة أحوالهم، يقول فيه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، و لكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"⁽²⁾.

و دعم الفكرة علماء آخرون نذكر منهم "أبو هلال العسكري" (ت 395 هـ) الذي يقول " و لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوق، لأن ذلك جهل بالمقامات، و ما يصلح في كل واحد منهما من الكلام، و أحسن الذي قال: لكل مقام مقال"⁽³⁾ ، فتحقيق التواصل الجيد بين المتكلم و المخاطب، هو الغاية من مراعاة المقام، و يجب عدم استخدام الألفاظ الغربية في العملية التواصلية لأن "الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي"⁽⁴⁾.

أما الهدف من المراعاة هو الفهم و الإفهام، يقول: أبو هلال العسكري "و إذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوق، و البدو بكلام البدو، و لا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، و تعدم منفعة الخطاب"⁽⁵⁾.

و أكد "ابن طباطبا" (ت 322 هـ)، على مدى مطابقة الشعر لمقتضى الحال في قوله "فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات و يتوقى حطها عن مراتبها أو أن يخطبها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك و يعد لكل معنى ما يليق به

(1) الجاحظ ، البيان و التبيين، مج1-2، ص 99

(2) المرجع نفسه، ص 100

(3) العسكري، كتاب الصناعتين، ص 27.

(4) الجاحظ ، البيان و التبيين، مج1-2، ص 104

(5) العسكري، كتاب الصناعتين، ص 29

الفصل الأول: المعاجم عند العرب القدماء و الغرب

و لكل طبقة مايشأ كلها حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله: في تحسين نسجه، و إبداع نظمه"⁽¹⁾.

و تحدث "ابن طباطبا" عن سمات الأسلوب، في حديثه عن الشعر، في قوله "و لحسن الشعر و قبول الفهم إياه علة أخرى؛ و هي موافقته للحال التي يعد معناه لها كالمدح في حال المفارقة و حضور من يكتب بإنشاده من الأعداء و من يسر به من الأولياء و كالهجاء في حال مباراة المهاجى و الحط منه حيث ينكى فيه استماعه له، و كالمراثي في حال جزع المصاب و تذكر مناقب المفقود عند تأبينه و التعزية عنه، و كالاعتذار و التوصل من الذنب عند سل سخيمة المجني عليه المعتذر إليه، و كالتحريض على القتال عند إلتقاء، الأقران و طلب المغالبة، و كالغزل و النسب عند شكوى العاشق و اهتياج شوقه و حنينه إلى من يهواه فإذا وافقت هذه المعانى هذه الحالات تضاعف حسن موقعها عند مستمعها"⁽²⁾.

واهتم "ابن رشيق" (ت 456 هـ)، بالمتلقى، و ذلك في قوله "و الفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها و ينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم، و يميل في شهواتهم و إن خالفت شهوته، و يتفقدون ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره، ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء و قد أورد بيتا ذكر فيه لو خلد أحد بكرم لكنت مخلدا بكرمك، و قال كلاما نحو هذا، فقال إن الموت حق و إن لنا منه نصيبا، غير أن الملوك تكره ما ينكد عيشها و ينقص لذتها فلا تأتتا بشيء مما نكره ذكره"⁽³⁾ و نجد في المجال نفسه قول لابن الأثير " (ت 637 هـ) " و افتتاح المديح بذكر الديار و دثورها مما يتطير منه و لا سيما في مشافهة الخلفاء و الملوك"⁽⁴⁾.

و هدف المخاطب هو التأثير في المتلقى، ليقوم بالفعل الذي يطلبه، و ليتحقق ذلك يجب مراعاة المخاطب لحال المتلقى، و إن "حازم القرطاجنى" (ت 684 هـ) يسمح للشاعر أن يلجأ إلى الإقناع أحيانا و الخطيب إلى التخيل أحيانا أخرى" و إنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا

(1) ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي)، عيار الشعر، عبد العزيز بن ناصر المانع، مطبعة المندى المؤسسة السعودية، مصر، د.ت، ص 9.

(2) المرجع نفسه، ص 23، 24.

(3) ابن رشيق (القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط5، 1981، ص 393.

(4) ابن الأثير (ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، أحمد محمد الجوفي/بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر للطباعة و النشر، قسم 11، ط1، 1962، ص 240.

الفصل الأول: المعالج عند العرب الحكماء و الغريب

فيما تقوم به الأخرى لأن الغرض في الصناعتين واحد و هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه"⁽¹⁾.

و يقول القرطاجني أيضا" و لما كانت النفوس تحب الافتتان في مذاهب الكلام و ترتاح للنقطة من بعض ذلك إلى بعض (...). فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه و أن تكون الخطبة التي وقعت المروحة بين معانيها أفضل من التي لا مروحة فيها"⁽²⁾ فيؤكد "القرطاجني" على ضرورة معرفة الظروف النفسية للمتلقى.

و تبلور مصطلح الحجاج عند"ابن خلدون (ت 808هـ) في المقدمة حين أكد على ضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية للإقناع، خاصة في زمن كثرت فيه المناظرات التي أساسها الجدل معتبرا أنه" معرفة آداب المناظرة التي تجرى بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم، (...).، و لذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد، من الحدود و الآداب، في الاستدلال ، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"⁽³⁾.

أما البلاغة عند "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ)، فهي وثيقة الصلة بنظرية النظم و المعنى، فإهتم بالمعاني و دور الإستعارة و القياس فيها، في قوله"و أعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، و الأساس الذي وضعت، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تتفق و تختلف ، و من أين تجتمع و تفترق (...). و أبين أحوالها في كرم منصبها من العقل و تمكنها في نصابه و قرب رحمها منه"⁽⁴⁾.

كما قال عنه"طه عبد الرحمن""إن أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الإستعارة هو إمام البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني، فقد أدخل مفهوم الإدعاء بمقتضياته التداولية

(1) (2)القرطاجني(أبي الحسن حازم)، منهاج البلغاء و سراج الأبناء، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1981، ص 361

(3) (عبد الرحمان بن محمد)ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص 422، 423

(4) الجرجاني (عبد القاهرة بن عبد الرحمان بن محمد)، أسرار البلاغة، محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1999، ص 24

الفصل الأول: المعالج عند العرب القدماء و الغرب

الثلاثة: "التقرير" و "التحقيق" و "التدليل"، كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض من غير أن يطرحه طرحا إجرائيا صريحا " (1) .

و تحدث "الجرجاني" عن الأثر النفسي للإستعارة إذ تحدث في نفس المثلثي المتعة، و يبدو أن "الجرجاني" أسبقية التحدث عن الآليات الحجاجية للإستعارة.

كما يصرح "الجرجاني" في مقدمة كتابه "دلائل الإعجاز"، بأن الكلام نظم ورعايته تحقق الإقناع، بقوله "ينبغي لكل ذي دين و عقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه و يستقصى التأمل لما أودعناه، فإن علم أنه الطريق إلى البيان، و الكشف عن الحجة و البرهان، تبع الحق و أخذ به، و إلا رأى أن له طريقا غيره أو ما لنا إليه، ودلنا عليه، و هيهات ذلك" (2).

و قسم "السكاكي" (ت 626 هـ) البلاغة، في مؤلفه "مفتاح العلوم" على أساس منطقي إلى ثلاثة علوم؛ علم المعاني و علم البيان و علم البديع "فعلم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء و الاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين، و يستهدف علم البيان البحث عن كيفية تجنب أوجه الغرابة و التعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام و إضفاء جمالية التعبير عليه، إن البلاغة إذ هي الطريقة و الوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيه إلى عقل و قلب السامع و ما يقتضيه ذلك من وضوح و محسنات و إيانة و إظهار و إقناع" (3)، فذهب السكاكي في مؤلفه "إلى حد تعقيد و ترتيب علوم البلاغة ترتيبا يكاد يكون نهائيا. هكذا تناول السكاكي في "مفتاح العلوم" مركز البلاغة و هوامشها معا. إذ دعمها بالاستدلال و القياس أيضا" (4)، و يعرف السكاكي البلاغة بقوله "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، و إيراد أنواع التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها، و لها أعنى البلاغة طرفان: أعلى و أسفل، متباينان تباينا لا يتراءى له ناراها، و بينهما مراتب تكاد تفوت الحصر" (5).

(1) طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 313

(2) الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد)، دلائل الإعجاز، الخفاجي محمد عبد المنعم، دار الجبل، بيروت، ط1، 2004، ص 49

(3) (4) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري (مقال) مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، مج 30، ع1، 10 سبتمبر 2001، ص 108

(5) السكاكي (أبو يعقوب يوسف أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص ص 415، 416

الفصل الأول: المعالج عند العرب القدماء و الغرب

و يلاحظ تعدد و تنوع المقامات عند السكاكي؛ إذ يقول "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، و مقام التهنة يباين مقام التعزية، و مقام المدح يباين مقام الذم، و مقام الترغيب يباين مقام الترهيب، و مقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، و كذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، و مقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، و كذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، و لكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبها مقام، و لكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، و ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن و القبول، و انحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، و هو الذي نسميه مقتضى الحال⁽¹⁾ فالمقامات عند السكاكي مصنفة بحسب الأحوال المتصلة بالمتكلم (كالتشكر، الشكاية، التهنة، التعزية) و الأحوال المتصلة بالمخاطب، و ذلك ببناء الكلام مع الذكي و مع الغبي و مع المنكر، و كذلك صنف المقامات بحسب حال الكلمة مع الأخرى في السياق، معتمدا في هذه الأخيرة على مباحث النظم الجرجانية.

و قد أشار السكاكي إلى أدوات إدراك الحجاج في البلاغة العربية، حين أكد أن الحسن من الكلام هو المطابق لمقتضى الحال في قوله "فإن كان مقتضى الحال اطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم، و إن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب مقتضى ضعفا و قوة و إن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، و إن كان مقتضى اثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، و كذا إن كان مقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، و إن كان مقتضى اثباته مخصصا بشيء من التخصيصات، فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها، و كذا إن كان مقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، و الإيجاز معها أو الاطناب، أعنى طي جمل عن البين و لا طيها، فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك⁽²⁾.

كما تحدث "السكاكي" أيضا عن الموضوعات المتعلقة بالجملة الخبرية و هي الإسناد الخبري و المسند إليه و المسند، "و يأخذ في الحديث عن الاسناد الخبري، و اختلافه باختلاف أحوال

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 168، 169

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 169

الفصل الأول: المعالج عند العرب القدماء و الغرب

السامع بحيث إذا كان خالي الذهن لم يؤكد له و إذا كان طالبا له في تحير أكد بمؤكد واحد ، و إذا كان منكرا له أورد عليه مؤكدا بتأكيدين أو أكثر، و يسمى الخبر في تلك الأحوال على الترتيب ابتدائيا و طلبيا و إنكاريا⁽¹⁾ .

و اهتم السكاكي بالمتلقى المشكك، و المكذب، و المنكر، و يقول السكاكي "أما الاعتبار الراجع إلى الحكم في التركيب من حيث هو حكم، من غير التعرض لكونه لغويا أو عقليا، فإن ذلك وظيفة بيانية، فككون التركيب تارة غير مكررة، و مجردا عن لام الابتداء، و أن المشبهة و القسم، و لامة، و نوني التأكيد، كنحو: زيد عارف، و أخرى مكررا، أو غير مجرد، كنحو: عرفت عرفت، و لزيد عارف، و أن زيدا عارف، و أن زيدا لعارف، و و الله لقد عرفت، أو لأعرفن، في الاثبات، و في النفي كون التركيب غير مكرر، و مقصور على كلمة النفي مرة كنحو: ليس زيد منطلقا، و ما زيد منطلقا، و لا رجل عندي، و مرة كنحو: ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا، و غير مقصور على كلمة النفي كنحو: ليس زيد بمنطلق و ما أن يقوم زيد و الله ما زيد قائما، فهذه ترجع إلى نفس الإسناد الخبري"⁽²⁾ .

و يقول السكاكي عن قضية الفصل و الوصل أن "الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها، كما إذا أريد بها القطع عما قبلها، أو أريد بها البديل عن سابقة عليها، لم تكن موضعا لدخول الواو، و كذا: متى نزلت من الأولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها، مثل ما إذا كانت موضحة لها ومبينة، أو مؤكدة لها و مقررة، لم تكن موضعا لدخول الواو"⁽³⁾ .

فقد حظى المقام بعناية كبيرة في البلاغة العربية القديمة، إذ أشار "التهانوي" (ت 791 هـ) إلى الفرق بين الحال و المقام بقوله "الحال و المقام متقاربان بالمفهوم، و التغاير بينهما بالاعتبار، فإن الأمر الداعي مقام باعتبار توهم كونه محلا لورود الكلام فيه على خصوصية، و حال باعتبار كونه زمانا"⁽⁴⁾ .

(1) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، 15 فبراير 1956، ص 290

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 167

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 252

(4) التهانوي (محمد علي الفاروقي)، كشف اصطلاحات الفنون، لطفى عبد البديع، مراجعه أمين الخولى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، دار الكتاب العربي، 1963، ص 126

الفصل الأول: العلاج عند العرب القدماء و الغرب

و يتبين مما سبق ذكره أن البلاغة العربية القديمة، أشارت إلى ملامح الحجاج و أدواته البلاغية، و أهم ما ركز عليه البلاغيون العرب في دراستهم لفكرة المقام هو المتلقى و كل ما يحيط به من ظروف خارجية، كما وصف "محمد العمري" فكرة مراعاة المقام و الحال في البلاغة العربية بأنها "عنوانا للعلاقة بين الخطيب و المستمع، فالبلاغيون العرب، و إن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية و الأخلاقية للمرسل و المتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام و الحال، ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"⁽¹⁾.

فاهتمت نظرية الحجاج المعاصرة أيضا بفكرة المقام، و عملت على تنميتها و تطويرها ضمن الدراسات اللسانية، و لا سيما و أن هذه النظرية استمدت إرهاباتها التطويرية الأولى من البلاغة الأرسطية، فيعد كتاب الخطابة "لأرسطو" من أقدم الكتب التي اهتمت بالاقناع الذي يعتبر مجال الحجاج، كما قام علماء العرب أيضا بالاطلاع على كتاب الخطابة "لأرسطو" بعد ترجمته، و حاولوا فهمه و الاستفادة منه.

⁽¹⁾ محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 21

المبحث الثاني: العجّاج عند الحارسيين الغربيين

يقول رولان بارث "Roland Barthes" لا يعني أنه توجد اليوم بلاغة جديدة، فالبلاغة القديمة تقابل بالأحرى هذا الجديد الذي لم ينجز بعد: إن العالم ملئ، و بشكل عجيب، بالبلاغة القديمة⁽¹⁾ فالبلاغة الجديدة هي امتداد للابستمولوجية الأرسطية و إعادة استثمار لإجتهدات البلاغيين القدماء في توسيع مفهوم البلاغة وربطها بعلم مختلفة كالفلسفة و علم النفس و الإجتماع و النحو⁽²⁾.

و قد أعادة البلاغة الجديدة الإهتمام "بالجانب التعليمي، لأن القديمة أصبحت حسب تعبير ج.جينات " بلاغة محدودة" نظرا لاهتمامها بالمحسنات البديعية. و على هذا الأساس تم التفكير في بلاغة جديدة تستفيد من تطور العصر و خصوصياته و تصبح علما لأنواع من الخطاب (الإنتاج النصي، أدبي كان أم لا) مكملا للسانيات نظرا لقربها من النحو النصي و ذلك بعد أن كانت عبارة عن فن الإقناع و حسن التكلم⁽³⁾.

و ظهر مصطلح البلاغة الجديدة سنة 1958م في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي ألفها " المفكر البولوني المولد، البلجيكي المقام بيرلمان Perelman، تحت اسم "مقال في البرهان؛ البلاغة الجديدة" و يعتمد هذا الكتاب على محاولة لإعادة تأسيس البرهان، أو المحاجة الاستدلالية، باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع كتقنية خاصة و متميزة لدراسة المنطق التشريعي و القضائي على وجه التحديد، و امتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر⁽⁴⁾.

و يذكر هنريش بليث "Heinrich F. Plett" أن أبرز رواد البلاغة الجديدة هم: رولان بارث R.Barthes " و جيرار جينات " G.Genette و ب-كونتز B.contze "وكبدي فاركا Kibédi varga و مجموعة Mu بلييج، و تودوروف Todorov، و ش بيرلمان ch-

(1) محمد سالم ولد محمد الامين، مفهوم العجّاج عند (بيرلمان) و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع3، ص 56

(2) إرود إيش، نظرية الأدب في القرن العشرين، ص 132

(3) الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، دار الحكمة، الجزائر، ع14، ديسمبر 1999، ص 275، 276

(4) صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 2000، ص 90

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

perelman فقد استطاع هؤلاء الباحثون و غيرهم أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا⁽¹⁾.

و أهم تيارات البلاغة الجديدة، تيار البلاغة العامة، و تيار نظرية الحجج، و كلاهما يهتمان بالجانب الإقناعي لأن نظرية الحجج تنميه و توسعه و تطوره لتدمجه في هموم البحث التداولي الحديث، و البلاغة العامة تسترجعه بعد أن ضاع منها في ظروف تاريخية غير مواتية لتطوير نظرية بلاغية⁽²⁾.

و يرجع نجاح البلاغة الحالي إلى الاهتمام "بوسائل الإقناع التي فرضتها طبيعة المجتمع الإعلامي المعاصر (...). فقد ارتبطت البلاغة المعاصرة، و خصوصا منها نظرية الحجج Théorie de l'argumentation و ما تعلق بها من بحوث، بمختلف الميادين الإعلامية المعاصرة سواء منها السمعي أو البصري أو هما معا. لذا أصبح مفهوم الإقناع مطلبا أساسيا في كل عملية فكرية معينة، سواء كانت هذه العملية "فكرة أو مقالة أو حركة...)"، و هذا ما جعل هذه النظرية في استثناء متواصل⁽³⁾، كما تدرج نظرية الحجج ضمن " حقل التداولية، إلا أنها انبثقت أولا من حقل البلاغة الفلسفية"⁽⁴⁾ ؛ و لهذا سيتطرق البحث إلى نظرية الحجج انطلاقا من رؤيتين متباينتين:

-رؤية فلسفية من أهم أقطابها: ش.بيرلمان"

-رؤية لسانية (تداولية) من أهم أقطابها: أ.ديكرو"

(1) هنريش بليت، البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ت/العمري محمد، إفريقيا الشرق، لبنان/المغرب، 1999، ص22

(2) الرود ابش، نظرية الأدب في القرن العشرين، ص 132

(3) محمد سالم ولد محمد الامين، مفهوم الحجج عند (بيرلمان) و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع3، ص56، 57

(4) محمد سالم ولد محمد الامين، مفهوم الحجج عند (بيرلمان) و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع3، ص58

1- الحجج عند (بيرلمان) و زميله:

يتناول البحث الحجج l'argumentation، من منظور فلسفي، و نذكر من أهم رواده "شايم بيرلمان" ch. Perelman، و زميله "اولبريشت تيتيكا" O.tyteca، و لهما مؤلفات في الحجج.

فبيرلمان له كتاب بعنوان "البلاغة الجديدة" "la nouvelle Rhétorique" و كتاب آخر ألفه بالاشتراك مع زميله "تيتيكا" بعنوان "دراسة الحجج traité de l'argumentation" و قد اكتشف بيرلمان من جديد الحضور الكوني للمحاجة في صلب الخطابات، لما كان منكباً على البحث على المنطق الصوري الذي ينتظم النصوص المختلفة كالأبحاث الفلسفية و المقالات السياسية و كتب الأخلاق⁽¹⁾، فكان للحجاج صلة وثيقة بالفلسفة و المنطق، و لخص صلاح فضل⁽²⁾ أهداف⁽²⁾ النظرية الحجاجية فيمايلي:

- 1- يهدف بيرلمان إلى إحياء كلمة "Rhétorique" التي تدهور استعمالها فلسفياً حتى أصبحت مهجورة، و يأمل أن تؤدي أعماله و بحوثه إلى بعث ماضيها المجيد.
 - 2- تهدف النظرية الحجاجية إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للغروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته.
 - 3- و إن الإهتمام بالبلاغة القديمة أدى إلى إبراز حقيقة هامة، و هي أن كل محاجة برهانية تنمو بالنظر إلى المستمعين إذ يرى الباحث أن هذه الفكرة ينبغي أن يحتفظ بها، لأن كل قول يوجه لمستمع، و غالباً ما ننسى أن الشيء ذاته يحدث بالنسبة لكل مكتوب.
 - 4- إن أهم ميزة لهذه النظرية أنها منطقية، و ليست تجريبية فبيرلمان يصرح، بأنه يعتمد على عمل المناطقة، و يتخذ مناهجهم التي أعطت نتائج جيدة منذ قرن تقريباً.
- و اعتبر بيرلمان "البلاغة مطابقة لنظرية الحجج"⁽³⁾ لأن في نظره كل المكونات الأسلوبية الموجودة في خطاب ما، هي عبارة عن مستويات معينة من مستويات الحجج؛ حيث

(1) إيف جانري Yves Jeanneret، نظريات المحاجة: اكتشاف جديد خصب، ترجمة يحياتن محمد، (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع11، ماي 1997، ص284.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 92، 95.

(3) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجج عند "بيرلمان" و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر،

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

أن البلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج، بل إنها لتنتهي إلى بنيته الخاصة⁽¹⁾

و يتميز الحجاج حسب رؤية بيرلمان بخمسة ملامح⁽²⁾ هي:

1- أن يتوجه إلى المستمع.

2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدمه-تناميه-إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5- ليست نتائجه ملزمة.

و يرى بيرلمان و زميله أن الحجاج لا يكون فيما هو يقيني و إلزامي، فلا نحاج في أمر

مأخوذ على أنه حقيقة ثابتة و محددة، و إنما يكون فيما هو مرجح و ممكن و محتمل⁽³⁾.

و أما الباعث الأول على الحجاج هو الاختلاف حول محاجة ما فيكون لها "حقائق متعددة

و متدرجة، و على الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى، أو أن تصل إلى ما هو أقرب

للصواب"⁽⁴⁾ و الغاية من الحجاج عند بيرلمان هي استمالة عقل المتلقى لما يعرض عليه من

رأى أو دعوى بالاعتماد على وسائل التأثير في عواطف المتلقى و خيالاته لإقناعه⁽⁵⁾ إذ جعل

من الإقناع لب العملية الحجاجية، فالحجاج لا يقف عند التأثير في عواطف المتلقى و استمالاته،

بل يهدف إلى إقناعه لممارسة عمل معين أو اتخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو بالإحجام. و من

هنا يكون الإقناع هو مجال الحجاج نظرا إلى كونه محدد المقام و المخاطب و الإطار القولي.

و حظي المقام باهتمام كبير في بحوث بيرلمان و زميله، يعد المقام عندهما "البؤرة التي

تلتقى فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية و حقائق فعلية و قرائن بلاغية و قيم

بشتى أقسامها و علاقة هذه القيم بمراتب الكائنات و الأشخاص المعنيين بخطاب ما"⁽⁶⁾

(1) أنظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 185، 186

(2) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر،

ص 61

(3) جميل عبد المجيد، البلاغة و الإتصال، ص 106

(5) جميل عبد المجيد، البلاغة و الإتصال، ص 105، 108

(6) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) و تطوره في البلاغة المعاصرة، (مقال)، مجلة عالم الفكر،

ص 83

كما يجب طرح العناصر الحجاجية المذكورة، بصيغ مختلفة في المقام «فعلى المتكلم التركيز على معايير الأولوية فيما يتعلق بالعلاقة مع المقام و الموضوع معا. و يدخل في هذه المقدمات ما يرد ذكره من حقائق فعلية و أحداث معينة لايشك المخاطبون في ثبوتيتها المرجعية. لكن ذكرها في الخطاب أو النص لا بد أن يكون له طابع حجاجي»⁽¹⁾ وأن يهئ المتكلم المخاطبين للإنخراط في الطرح، و ينطلق المتكلم من القرائن Présomptions التي أطرت الحقائق في المقام «فالقرائن تحتاج بخلاف الحقائق - إلى أن تدخل في الأنساق التبريرية لأن ذلك يزيد من فعاليتها، و يرسم علاقتها بالمقامات الصادرة فيها و بالمواقف المتوخاة من ورائها»⁽²⁾.

و إنّ تعدد المواقف و الأساليب و المخاطبين يصاحبه تنوع آخر في مستويات القيم "Valeurs"، و يصفها بيرلمان، بأنها عناصر حجاجية جاهزة، و بأنها أيضا موضع إتفاق و تسليم، فهي ذات دور فعال في بناء الثقة بين المتحاورين، و وظفت القيم في النظرية الحجاجية بوصفها قواعد حجاجية "Règles argumentatives" «نستدعيها لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معينة بدل أخرى: كما أننا سنستدعيها خصوصا من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي دعونا إليها مقبولة و مؤيدة من طرف الآخرين»⁽³⁾.

و يرتبط دور القيم في الحجاج بالطريقة التي ينظر بها المخاطبون إليها، لأنّ «ما يميز مخاطبا عن الآخر ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما يتميز بالطريقة التي يرتب بها تلك القيم»⁽⁴⁾ و يعد الإقرار بدور القيم في النظرية الحجاجية «أول خطوة لنبذ، العنف و القسر و المصادرة، و ميلاد ميثاق التواصل القائم على النقاش المثمر»⁽⁵⁾.

فكان للمقام دور فعال في تشكيل عناصر الحجاج عند بيرلمان لأنّ «المقام هو الذي يمنح الكلمة الملقاة و الأخرى المكتوبة دورهما و مكانتهما بغض النظر عما تحمله من شحنات دلالية

(1) محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" و تطوره في البلاغة المعاصرة، (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع3، ص 83.

(2) (3) (5) المرجع نفسه ، ص 84.

(4) المرجع نفسه ، ص 85.

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

أو معنوية قبلية»⁽¹⁾، و للمقام في تصور بيرلمان دورين أساسين «فهو تارة يعتبره الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية، و لكل المشاركين فيها، و تارة ثانية يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج و ترتيب القيم»⁽²⁾.

وقدم بيرلمان في نظرية الحجج «تصورا مفصلا لدور المقام في الخطابات و النصوص المعاصرة على اختلاف أجناسها المعرفية و أساليبها في الأداء و التوصيل»⁽³⁾، و تعد نظرية الحجج عند بيرلمان نظرية مقامية بالدرجة الأولى. فتعتمد نظرية الحجج حديثا، على أعمال بيرلمان و زميلة، و على أعمال باحثين آخرين كتولمين و ديكرو و مايير.

2- الحجج عند "تولمين":

اتضح مفهوم الحجج عند "س.إ.تولمين" "S.E.Toulmin" من خلال كتابه الذي أصدر سنة 1958 بعنوان Les Usage de l'argumentation الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحججية في الاستخدام العادي للغة⁽⁴⁾، و يقوم الحجج عند "تولمين" على ثلاثة عناصر أساسية هي:

- المقدمة/ المعطى Donné

- الضمان La garantie

- النتيجة Conclusion

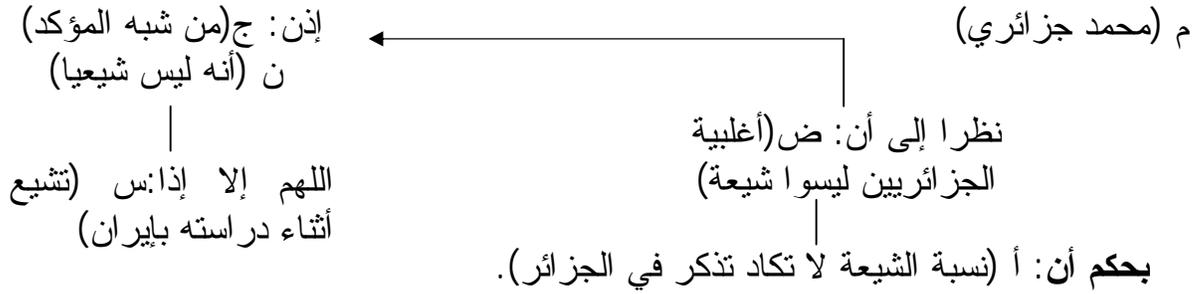
وعرض لذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاث مراحل، ترجمها (عبد الله صوله) على النحو الآتي⁽⁵⁾:

(1) (2) (3) المرجع السابق نفسه، ص 85

(4) بوجادى خليفة، خصائص التركيب اللغوي في "بوابات الثور" للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي، (رسالة دكتوراه)، قسنطينة، 2006/2005، ص56.

(5) بوجادى خليفة، خصائص التركيب اللغوي في "بوابات الثور" للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي، ص 56، 57.

مثال:



أما الأشكال الحجاجية التي صاغها "تولمين"، وطورها باحثون آخرون بعده يمكن أن تعتبر شكلا نموذجيا يعبر تعبيراً صحيحاً عن عمليات الإسناد و الدحض للمفوضات المميزة للمقطع البرهاني النموذجي، و هذا ما أكده "أدام" J.M. Adam⁽¹⁾.

3- الحجج عند "ديكرو" وزميله:

طور كلٌّ من "أزوالديكرو" Oswald Ducrot و "أنسكومبر" "J.C. Ans-combre" النظرية الحجاجية، لاعتمادهما على بحوث "إميل بنفينست" "Emel Benvenist" اللسانية، كما استفادا من بعض النظريات التداولية من أهمها نظرية الأفعال الكلامية و الحوارية رغم أن «التداولية درس جديد و غزير، إلا أنه لا يمتلك حدوداً واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية، في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية و اللسانية»⁽²⁾.

واتضح مفهوم الحجاج و آلياته عند "ديكرو" وزميله من خلال كتابهما "الحجاج في اللغة" "L'argumentation dans la langue" ونظرية الحجاج من منظورها كما ذكره أبو بكر العزاوي هي «نظرية لسانية تهتم بالوسائل و الإمكانيات اللغوية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية لتحقيق بعض الأهداف و الغايات الحجاجية، وهي تختلف بذلك عن النظريات الحجاجية الأخرى ذات التوجه المنطقي أو الفلسفي أو البلاغي»⁽³⁾.

⁽¹⁾ بوزيده عبد القادر، نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي)، (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، دار الحكمة، الجزائر، ع 14، ديسمبر 1999، ص 311.

⁽²⁾ أرمينكو فرانسواز Armengaud Françoise، المقاربة التداولية ت/علوش سعيد، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص 7.

⁽³⁾ أبو بكر العزاوي، البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجاً (مقال)، مجلة المشكاة، ثقافية تعني بالأدب الإسلامي، ملف العدد: الخطاب القرآني، قراءات متعددة، ع 19، 1994، ص 124.

الفصل الأول: الحجاج عند العرب القدماء و الغرب

ويرى "ديكرو" أن التعامل مع الحجاج يكون بتوخي مقاصد عديدة منها الرغبة في التأثير و التوجيه و الإقناع، بحيث تترجم الأقوال إلى أفعال، حسب نظرية الأفعال الكلامية، و التي يطلق عليها أيضا نظرية الحدث الكلامي، و نظرية الحدث اللغوي، و النظرية الإنجازية، و تعد هذه النظرية في نظر أغلب الباحثين جزء من اللسانيات التداولية، و خاصة في مرحلة التأسيس عند "جون أوستين" "J.L. Austin" و في مرحلة النضج و الضبط المنهجي عند تلميذه "سورل" "J.R. Searle" و بعد هاتين المرحلتين حاولت بعض النظريات المعاصرة أن تعدل فيها لتدخلها في إطارها العام و تخضعها لطرائق التحليل فيها، و من أبرز هذه النظريات نذكر اللسانيات التوليدية و لسانيات النص⁽¹⁾، كما عملت هذه الأخيرة على معالجة الحجاج «كظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين، و أدوارهم في أفعال الكلام، و بالإضافة إلى ذلك، هناك الوقوف عند العناصر و الروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح سلايم الحجاج داخل المنطوقات و الأقوال»⁽²⁾.

فالحجاج عند "ديكرو" كامن في بنية اللغة ذاتها حيث أنه «يكون بتقديم المتكلم (ق1) يقضى إلى التسليم بقول آخر (ق2) (.....)، فهو إنجاز لعمليتين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية، و عمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم مفهومة من (ق1)»⁽³⁾ و أما المسؤول عن المنطوق أو القول هو الذات المتكلمة، إذ يميز "ديكرو" بين المتكلم و المتناظر، فتوصل بأبحاثه إلى مفهوم «المتناظر متعدد الأصوات، لحل مشكلة تحليل بعض الأقوال التي لا تعرف بالضبط لمن تنسب فيها الكلام، هل لمكلم واحد، أم لأكثر من متكلم»⁽⁴⁾ و باتساع مجال الأفعال الإنجازية التي تنتمي إلى علم الدلالة اللساني يوسع "ديكرو" حقل التداولية المندمجة، فنجد "ديكرو" لا تتعارض عنده قيمة القول ودلالته (المعنى) إذ من

(1) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 59.

(2) حبيب أعراب الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري (مقال)، مجلة عالم الفكر، ص 103، 104.

(3) O.Ducrot et J.C. Anscombe : L'argumentation dans la langue, édition. Mardaya, liege, Bruscelles, 2eme édition, 1988, P8.

نقلا عن: بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، ط1، 2003 ، ص 221

(4) حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" (مقال)، مجلة عالم الفكر، ص 104.

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

«الأجدي في نظره لتحديد المعنى اعتبار الملفوظ و الموضوع»⁽¹⁾.

فبين بذلك أن اللغة تدرس بالموّن اللغوي (اللساني) الذي يخصها بالدلالة، ثم تعالج تداوليا، فتخص الأثر و «بالضبط التأثير الموضوعي الذي يدعي الكلام امتلاكه»⁽²⁾، ولهذا يجب معرفة قوانين الخطاب أو مبادئ الخطاب التي وضعها "جرايس" H-P. Grice و حددها في أربعة مبادئ⁽³⁾ هي:

- مبدأ الكمّ: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

- مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

- مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

- مبدأ الطريقة: كن واضحا ومحددا، فتجنب الغموض، وتجنب اللبس، و أوجز، ورتب كلامك.

وتساهم هذه المبادئ في «تحديد معالم الدلالات الحجاجية»⁽⁴⁾ وتحقق مبادئ الخطاب أيضا التعاون بين المتكلم و المخاطب، للوصول إلى الحوار المثمر، فيظهر مستوى آخر يتجلى فيه البعد التداولي للخطاب الحجاجي، و يتمثل في المستوى الحواري، إذ تعد "فرانسواز أرمينكو" الحوارية «مكونا لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين توجدان في علاقة حالية، و يقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية: كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لابد أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصااتة وثنائية العرض»⁽⁵⁾، فترى بعض الاتجاهات التداولية أن أساس الحجاج هو "الحوارية وما تتطلبه من عمليات

حجاجية تتنوع و تتباين بتنوع و تباين أنماط التحوار و مراتب الحوارية (...). و الحقيقة

(1)(2) أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص 58.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34.

(4) O.Ducrot et J.C.Ans-combre M L'argumentation dans la langue, P7.

نقلا عن: بلخير عمر تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 121

(5) أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية ص 85.

الفصل الأول: الحجاج عند العرب القدماء و الغرب

أن الحوارية و حاجها هي ذاتها من نتائج العملية التواصلية⁽¹⁾.

و اهتم "ديكرو" وزميله و غيرهم من الدارسين بمسألة "مراتب الحجاج"، و تحدث "ديكرو" عن هذه المسألة في مقالته: "مراتب الحجاج" و "العوامل الحجاجية و القصد الحجاجي"، و نجد "أنسكومبر" تحدث عن مراتب الحجاج في مقالته "حتى ملك فرنسا أصلع" فقد أخذت مراتب الحجاج" عندهما أشكالا ثلاثة⁽²⁾ وهي:

- المراتب المتضادة: فقد تكون الألفاظ دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين.
 - المراتب الموجّهة توجيهها كميا: يوجد هذا الضرب من المراتب في الألفاظ الدالة على معان تقبل التدرج في اتجاه واحد، إما على مقتضى التزايد أو على مقتضى التناقص.
 - المراتب الموجهة توجيهها قسديا: قد تدخل المراتب، لا على الألفاظ و حدها بل كذلك على الجمل، فيكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل.
- و اختص "ديكرو" بالنوع الأخير من المراتب الحجاجية لأن «القيمة الحجاجية لقول ما، ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على مور فيمات و تعابير أو صيغ و التي بالإضافة إلى محتواها الإخباري فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، و توجيه المتلقى في هذا الاتجاه أو ذلك»⁽³⁾.
- فاهتم "ديكرو" بإبراز نظام و تراتبية الحجج (حجج قوية، حجج ضعيفة)، و حجج أخرى قد يعلو بعضها على بعض (حجج عليا، حجج سفلى)، بالنسبة إلى نتيجة معينة، و تشكل العلاقة بين مراتب الحجاج ما يسمى بالسلم الحجاجي.
- و يقول "أبو بكر العزاوي" أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق "من فكرة مفادها أننا نتكلم عامّة بقصد التأثير، و أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج و أن المعنى ذو طبيعة حجاجية"⁽⁴⁾.

(1) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" (مقال)، مجلة عالم الفكر، ص 103.

(2) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص 274، 275.

(3) حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، ص 105.

(4) الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 459.

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

و أجد من الضرورة الإشارة إلى جهود "ميشال مايير" "Michel Mayer" الذي أوجد العلاقة بين الحجج و نظرية المساءلة. فالحجاج عند "مايير" خاصية لكل تخاطب لغوي، إذ أنّ ظاهرة الكلام يحمل ضمنّيّه و يكشف عنه بمساعدة معطيات مقامية ليكشف عن السؤال الضمني الكامن في الجواب (الحجة) الظاهر المصرح به، بمساعدة المقام و المتلقي الذي يقرأ الحجج الصريحة (أو الأجوبة) في خطاب ما، فيطرح حتما أسئلة يستنتجها ضمنيا من خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص مستعينا بالمعطيات التي يوفرها المقام⁽¹⁾.

و قدم "ألان بواسينو" "Alain Boissinot" في مجال الحجج كتاب بعنوان "النصوص الحجاجية" "Les textes argumentatifs" صنف فيه النصوص الحجاجية نظرا لخصوصياتها، إلى عدة نماذج⁽²⁾:

1- النصوص الحجاجية المختلطة: وهي نصوص "متفجرة" (المقال الصحفي).

2- النصوص الحجاجية المحكمة البناء: و فيها عدة نماذج:

- نصوص ذات توجه برهاني: كثرة الروابط المنطقية -الاستقراء و الاستنتاج- القياس.
 - نصوص ذات توجه عرضي: وهو نموذج قريب من النصوص العرضية ، وهو يركز على مدى سير "الخبر" في النص.
 - نصوص ذات توجه حوارى: طابع جدلي تتبع مختلف الأصوات و السمات القولية.
- كما قدم في فصل آخر من كتابه، شبكة قراءة خاصة للنصوص الحجاجية، حيث تركز أساسا على البحث عن القرائن النصية التي يسمح تحليلها بتقديم فرضيات التفسير الأولية، وتصنف هذه القرائن في ثلاث مجالات كبرى⁽³⁾ هي:

1- قرائن القول: تظهر وضعية المحاج بالنسبة للقول على مستوى اللغة، أي على مستوى السمات الذاتية.

2- القرائن التنظيمية: نبحث في النص الحجاجي عن كل ما يساعدنا على معرفة الأطروحات و مدى تناسق الحجج.

⁽¹⁾ Mayer (Michel) : Logique langage et argumentation, Edition Hachell, Enuversité, 1982, 2eme, paris, P137.

⁽²⁾ الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، ع14، ص 278، 279.

⁽³⁾ الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، ع 14، ص 280، 282.

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

3- القرائن المعجمية: تتمثل في مراعاة التقابل في وجهات النظر و ما ينتج عنه من مفردات متضادة نظرا لكونها تعكس تضادا في الأطروحات.

4- شرح القرائن: يسمح شرح القرائن و إعادة ترتيبها بقراءة دقيقة للنص.

أما عن الدراسات الحديثة في مجال الحجج، أشير إلى جهود "طه عبد الرحمان"، الذي قام بتصنيف الحجج إلى صنفين هما:

1- الحجج التوجيهي:

إن المقصود بالحجج التوجيهي هو "إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره؛ فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إقائه لها و لا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده و أفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود و الأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الإستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب و يجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض عليه".⁽¹⁾

و يعد "الشهري" هذا الصنف من الحجج "في مستوى أدنى من مستوى الحجج التقويمي، و ذلك لأن المرسل يكتفي بقصده فقط في تكوين حججه و تنظيم خطابه، فلا يجرّد من ذاته ذاتا أخرى تمثل المرسل إليه، في محاولة لتوقع اعتراضاته و استباق حججه، ليدحضها و يصل إلى إقناعه، و كأن المرسل في هذا العمل لا يقيم وزنا كبيرا للمرسل إليه كما لا يهمنه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب و توفير الوقت و النظر بعين الناقد البصير، إذ يكتفي بمجرد إيصال حججه إليه".⁽²⁾

- الحجج التقويمي:

" و المقصود بالحجج التقويمي هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه؛ فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني

⁽¹⁾ طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 227.

⁽²⁾ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 470 ، 471.

الفصل الأول: الحجج عند العرب القدماء و الغرب

أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته و اعتراضاته و مستحضرا مختلف الأجوبة عليها و مستكشفا إمكانات تقبلها و اقتناع المخاطب بها. و هكذا، فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه و بين نفسه، مراعى فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية و حدود تعاملية، حتى كأنه عين المستدل له في الإعتراض على نفسه".⁽¹⁾

فيهدف المرسل في خطابه الحجاجي إلى تحقيق الإقناع، مع مراعاة الحجج التي يمكن أن يعارضه بها المتلقى أي الحجج المفترضة، فيعتمد الحجج التقويمي على "الحوار الضمني، و غرضه هو درء الشك المتوقع من المرسل إليه".⁽²⁾

⁽¹⁾ طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 228.

⁽²⁾ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 473.

الفصل الثاني

الحجاج عند العرب القدماء و الغرب

- المبحث الأول: الحجاج عند العرب القدماء

- المبحث الثاني: نظرية الحجاج

تمهيد:

إنّ للخطابة تاريخاً عريقاً عند اليونان، و كان أوّل من جمع قواعدها "أرسطو" في كتابته "الخطابة"، وبعد "أرسطو" جاء عصر ازدهرت فيه الخطابة عند الرومان، أما عند العرب فهي فن أصيل «أصالة الفصاحة و البيان عندهم، و كانت جزءاً من حياتهم قبل الإسلام و بعده، تعددت مناسباتها، و تنوعت أغراضها، و موضوعاتها فالخطابة لازمة لهم في المفاخرات و المنافرات و في حياتهم الاجتماعية من نصح و إرشاد و إصهار و زواج، و في حياتهم السياسية من دحض على الحرب و تحسين لها إذا ما دعت إليها الضرورة، و من ذمّ لها و تحذير منها إلى غير ذلك مما كانت تقتضيه البيئة و الزمان»⁽¹⁾

وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، وهناك أسباب عديدة ساهمت في إزدهارها و رقيها، من بين هذه الأسباب نذكر، الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و لاسيما الصراع القائم بين الأحزاب السياسية، منها حزب بني أمية، و هو الحزب الحاكم، و أحزاب المعارضة للحكم الأموي أبرزها: الخوارج، و الشيعة، و الزبيريون، و لكل حزب خطباء مفوهين يدافعون على مصالح الحزب وحقه في الخلافة، و في وسط هذا «الصراع المستعر، و تلك الخصومات و المنازعات العنيفة بين هذه الأحزاب. تصدى كل حزب لنشر مبادئه، و الدفاع عن عقيدته، و دحض حجج خصومه، و القضاء عليهم بما وسعه من وسائل».⁽²⁾

و وجدت الخطابة في العصر الأموي في «محيط هذه الأحزاب خير بيئة تحتضنها، و تغذوها بأسباب النماء و النضوج و القوة و الازدهار و العظمة».⁽³⁾

(1) مصطفى الشكعة ، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النثر، دار المصرية اللبنانية، ط3، 1993، ص41.
(2) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة الأموية، دار المعارف، القاهرة، ج2، 1967، ص 73.
(3) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج 2، ص 74.

المبحث الأول: الأحزاب السياسية:

إن أهم ظاهرة تميز بها العصر الأموي، تعدد الأحزاب السياسية، لهذا لم تكن الحياة السياسية هادئة، بل كثرت فيها الفتن، و الاضطرابات، و النزاعات، و خاصة بعد واقعة صفين*.

ودارت أحداث هذه الواقعة بين معاوية "بن أبي سفيان" و "علي بن أبي طالب" (رضي الله عنه)، و لما كاد النصر يكون حليف عليّ قام فريق معاوية بنشر «مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها فهاب أهل العراقين، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختر أهل العراق أبا موسى الأشعري، و اختار أهل الشام عمرو بن العاص، ففرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشتراط أن يرفعا ما رفع القرآن، و يخفضا ما خفض القرآن، و أن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه و سلم»⁽¹⁾ فحكم معاوية هو "عمر بن العاص" الذي اختاره بنفسه لأنه يدرك أن هذه الشخصية تتميز بالحكمة و الدهاء، إذ خدع حكم علي، وأعلن معاوية خليفة للمسلمين إذا «بعد معركة صفين استبد معاوية بالشام (سورية) ببيع له بالخلافة فوطد الملك في بيته»⁽²⁾، و أصبحت «الخلافة ملكا وراثيا، ونشأ منصب ولاية العهد ومنصب الوزراء»⁽³⁾.

وظهر في صفوف "علي" بعد واقعة صفين حزب الخوارج يضم الذين رفضوا التحكيم، و خرجوا عن صفوف "علي"، و حزب الشيعة الذين شايعوا عليًا، ووقفوا إلى جانبه إذ «قالوا: نحن أولياء من واليت، و أعداء من عاديت»⁽⁴⁾.

فقد تمحور الخلاف بين الحزب الحاكم، حزب بني أمية و أحزاب المعارضة، حول مسألة الخلافة حيث كان «كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه و بيان نظرتة السياسية و استمالة الناس إليها»⁽⁵⁾.

* صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من جانب الغربي، الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، ج5- م5، باب (الصاد و الفاء) ص 370.

(1) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ج5، 1963، ص 57.

(2) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، أبريل 1983، ص 197.

(3) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ص 198.

(4) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج5، ص 76.

(5) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط11، 11 أبريل 1946، ص 68.

1- حزب بني أمية:

هو الحزب الحاكم، و يتمثل في «بنو أمية و أتباعهم و الخاضعون لدولتهم». (1) وكان ظهوره «حين استولى زعيم الأمويين معاوية بن أبي سفيان عام 41هـ-661م» على مقاليد الحكم و شؤون الخلافة الإسلامية، نقل عاصمة الخلافة من المدينة و الكوفة إلى دمشق في الشام، ظلت هي العاصمة الكبرى حتى سقوط الدولة الأموية عام 122هـ-750م (2) و كان أهم مبدأ تقوم عليه سياسة بنو أمية هو أن "الخلافة يجب أن تكون في قريش، و أن الأمويين أولى الناس بها" (3)

و قد ساد عصر بنو أمية الكثير من "الخلافات و الثورات و الحروب بين العرب بعضهم و بعض و بين العرب و الموالي و بين أبناء و فروع الأمويين أنفسهم؛ و كثر تبعا لذلك الاضطهاد السياسي لخصوم الدولة" (4)

و تقلد مناصب الخلافة الأموية أربعة عشر خليفة، إذ حدد المستشرق "زامباور" (5) تاريخ تقلد كل واحد منهم منصب الخلافة كما يلي:

- 1- معاوية (الأول) بن أبي سفيان تقلد المنصب في ربيع الأول 41هـ
- 2- يزيد (الأول) بن معاوية تقلد المنصب في رجب 60هـ
- 3- معاوية (الثاني) بن يزيد تقلد المنصب في 15 ربيع الأول 64هـ
- 4- مروان (الأول) بن الحكم تقلد المنصب في 3 ذي القعدة 64 هـ
- 5- عبد الملك بن مروان تقلد المنصب في 27 رمضان 65هـ
- 6- الوليد (الأول) بن عبد الملك تقلد المنصب في 14 شوال 86هـ
- 7- سليمان بن عبد الملك تقلد المنصب في 15 جمادي الآخرة 96هـ
- 8- عمر بن عبد العزيز تقلد المنصب في 10 صفر 99 هـ

(1) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص 48.

(2) محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية، عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1987، ص1

(3) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص49

(4) محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية، عصر بني أمية، ص 12

(5) زامباور، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، زكي محمد / حسن أحمد محمود/ كاشف اسماعيل/حمدي أحمد، دار الرائد العربي، بيروت، 1980، ص1

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

- 9- يزيد (الثاني) بن عبد الملك تقلد المنصب في 20 رجب 101 هـ
- 10- هشام بن عبد الملك تقلد المنصب في 26 شعبان 105 هـ
- 11- الوليد (الثاني) بن يزيد تقلد المنصب في 6 ربيع الثاني 125 هـ
- 12- يزيد (الثالث) بن الوليد تقلد المنصب في 27 جمادي الآخرة 126 هـ
- 13- ابراهيم بن الوليد تقلد المنصب في 7 ذي الحجة 126 هـ
- 14- مروان (الثاني) بن محمد تقلد المنصب في 14 صفر 127 هـ

2- حزب الخوارج:

حزب معارض لحكم بني أمية، و الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، بعد وقعة صفين سنة ثمانى و ثلاثين للهجرة⁽¹⁾، حين جرى أمر التحكيم، و اجتمعوا بحروراء* "من ناحية الكوفة"⁽²⁾، و هم الذين "يعتقدون أن عليا هو الإمام، و قد بويع بيعة صحيحة، فلا يجوز قبوله التحكيم مع جماعة خرجوا عليه، بل كان عليه أن يمضى في حربهم حتى يدخلوا فيما دخل فيه الناس من طاعته، أو يبيدوا جميعا"⁽³⁾، أما شعارهم هو "لا حكم إلا لله"⁽⁴⁾ و من خالف هذا الحكم اتهم بالكفر عندهم إذ "قد حكم الخوارج بكفر على و معاوية و من ناصرهما بعد التحكيم؛ لأنهم حكموا بغير ما في كتاب الله، إذ عدلوا عن تحكيم الله إلى تحكيم الناس"⁽⁵⁾

أما عن وحدة الخوارج فقد بقى الخوارج حزبا واحدا لم يتصدع حتى سنة 65 هـ إذ اتجهوا إلى مكة بزعامه نافع بن الأزرق ليناصروا عبد الله ابن الزبير إذ وجدوه يدين بمذهبهم فلما ناقشوه وحاوروا ابن عباس، تبينوا أن ابن الزبير يخالفهم في آرائهم"⁽⁶⁾ و منذ هذه الحادثة "بدأو يفترقون، فشخص بعضهم إلى اليمامة و هم النجدات أتباع نجدة ابن عامر الحنفى، و اتجه

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5-5م، (باب الصاد و الفاء)، ص370

(2) الشهر ستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) الملل و النحل صدقي جميل العطار، دار الفكر، لبنان ط2، 2002، ص93

* حروراء: قرية من قرى الكوفة، الشهر ستاني، الملل و النحل، الهامش، ص93

(3) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج2، ص57

(4) الشهر ستاني، الملل و النحل، ص92

(5) أحمد محمد الحوفى، أدب السياسة في العصر الأموى، دار القلم، بيروت، د.ت، ص88

(6) أحمد محمد الحوفى د، أدب السياسة في العصر الأموى، ص95

الفصل الثاني: الخطاب في العصر الأموي

الباقون إلى البصرة، و هم الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، ثم تشعبوا جميعا إلى عشرين فرقة، لكل منها آراؤها"⁽¹⁾

و من أبرز فرق الخوارج نذكر: الأزارقة، النجدات، الاباضية، الصفرية.... إلخ، أما عن ثورات و حروب الخوارج، فقد استمرت طيلة عصر بني أمية، فقد كان حزب الخوارج أشد الأحزاب خطرا لأن أصحابه "يغالون في رأيهم أشد المغالاة، و يببالغون في عداوة غيرهم أعظم المبالغة، و كانوا من التعصب لعقيدتهم بحيث لا يرجى تحويلهم عن موقفهم بالحجة و الإقناع، فقد كانوا يرون من عداهم من المسلمين كفار، و أن دماءهم و أموالهم حلال، فسلك معاوية معهم سبيل العنف و القمع و البأس الشديد، و كان أبغض الناس إلى الخوارج، لأنهم إذا كانوا قد فاقوا صاحبهم أنهم يرونه قد انحرف في بعض الأمر، فمعاوية عندهم منحرف من أول الأمر، و على طول الطريق"⁽²⁾

* المبادئ الأساسية لحزب الخوارج:

و أهم تلك المبادئ التي أسس الخوارج عليها مذهبهم لدى المحكمة الأولى خمسة:

"- الخلافة حق لكل مسلم، و غايتها إقامة الأحكام

- إذا خالف الخليفة الشروط التي بويع عليها جاز عزله أو قتله

- إذا اتفق المسلمون على أن يقيموا الأحكام بأنفسهم، استغنوا عن منصب خليفة

- الدفاع عن الرأي بالجدال و القتال

- قتل المخالفين لهم في الرأي مع أهلهم"⁽³⁾

3- حزب الشيعة:

يقول الشهرستاني "الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص، و قالوا بإمامته و خلافته نسا و وصية، إما جليا، و إما خفيا"⁽⁴⁾ و يبدو أن أول إنتفاة شيعي حول علي بن ابي طالب كان في معركة صفين إذ لما قدم علي الكوفة و فارقت الخوارج، و ثبت إليه

(1) أحمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 95

(2) محمد الطاهر درويش ، الخطابة في صدر الاسلام، ج2، ص 58

(3) عمر فروخ تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص 209، 210

(4) الشهرستاني، الملل و النحل، ص 118

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

الشيعة فقالوا: نحن أولياء من و البيت، و أعداء من عاديته، و نحن كذلك، و هو على الحق و الهدى، و من خالفه ضال مضل" (1)

و كانت الشيعة تثبت أحقية على بالخلافة، فنقول أن "علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله و سلامه عليه بنصوص ينقولونها و يؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة و لا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" (2)

و قد برز أهل الشيعة في زمن على إذ قاموا بتأييده، و مغالاتهم في نصره و الدعوة له، و ما كان منهم في الجمل و في صفين من بسالة و إقدام، و مصالوة بالسيف و اللسان، و كيف صاروا طائفة دينية كبيرة، و حزبا سياسيا له كيان قائم و مبادئ و أهداف، و كيف كان جدلهم و خطابتهم من القوة و البلاغة و الكثرة بذلك المكان، و ما لقيهم به أعداؤهم من محاجة و خطابة و مقال حتى لكان حديث الناس إذ ذاك كله كان خطابة، و الناس كلهم خطباء" (3)

ورغم اختلاف الشيعة فيما بينهم، و تعدد فرقهم، إلا أن "جميعها حامت حول مسائل تتصل بالإمامة، أو الخلافة، و هي الجوهر و الأساس، و تتصل أيضا بالعصمة، و المهديّة، و النقية، و الرجعة، و ما يتعلق بها الأمور، و البدع" (4)

و نذكر لهم خمسة فرق هي " الكيسانية، الوزيدية، و الإمامية، والغلاة، و الإسماعيلية، و بعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، و بعضهم "إلى السنة، و بعضهم إلى التشيع" (5)

* المباحث العامة لحزب الشيعة:

لقد تأسس المذهب الشيعي على عدة دعائم سياسية دينية، نوجزها فيما يلي (6) :

- أن الإمام واجب التعيين.
- عليّ "هو الإمام و يعتقدون أن النبي صلى الله عليه و سلم قد عين علياً.

(1) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج5، ص64

(2) ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص 190، 191

(3) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج2، ص51

(4) ثريا عبد الفتاح ملحس، حزب الشيعة في أدب العصر الأموي، مكتبة المدرسة/دار الكتاب العلمي/الدار الإفريقية العربية، لبنان، ط1، 1990، ص 43

(5) الشهرستاني، الملل و النحل، ص 118

(6) أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 64، 68

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

- العصمة: الأئمة معصومون منزهون عن ارتكاب الكبائر و الصغائر، و لا يجوز عليهم الخطأ، لأنهم ممتازون من البشر، متفردون بأسرار الشريعة.

- الإمامة واجبة: لا غنى عن الإمامة للمسلمين، فهي واجبة عليهم، ومن مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

- الرجعة: المراد بها عودة الإمام إلى الظهور بعد اختفائه، أو إلى الحياة بعد موته.

- التقية: هي إظهار غير ما في النفس، محافظة على الحياة أو المال أو العرض،.....، لأنها إحدى وسائلهم في كتمان العقيدة، و النجاة من الاضطهاد.

- المهديّة: هذه العقيدة عاصرت الشيعة منذ فجرهم الأول، وجعلت تتمشى مع فرقهم كلها على مر العصور، إلا المعتدلين من الزيدية.

- 4- الحزب الزبيرى:

تعود النشأة الأولى للحزب الزبيرى إلى ما بعد «مقتل عثمان، إذ كان الزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله قد بايعا على بن أبي طالب، ثم خرج من المدينة بدعوى العمرة، ونقضا بيعتهما، وكانت السيدة عائشة بمكة، فانضمت إليهما وثاروا على عليّ بدعوى المطالبة بدم عثمان»⁽¹⁾.

وقد كان سبب قيام الحزب الزبيرى هو فكرة الخلافة التي كانت «تعشش في رأس ابن الزبير، و يحتضنها له أولياؤه، أما حزب الزبيريين فلم يتكون وينهض إلا بعد موت معاوية و إعلان ابن الزبير الدعوة لنفسه سنة 63هـ»⁽²⁾

ويبدو أن الخلافة و شؤونها هي السبب في قيام جميع الأحزاب السياسية في العصر الأموي.

(1) أحمد محمد الحوفى ، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 113.

(2) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص 65.

* المباحث العامة للحزب الزبيرى:

يقوم الحزب الزبيرى على عدّة مبادئ تبرر نسبة دعوته إلى عبد الله ابن الزبير دون غيره نوجزها فيما يلي:⁽¹⁾

- الخلافة حق لقريش،.....، وعبد الله أكفأ القرشيين المعاصرين له بعد أن مات معاوية، بل كان يرى نفسه أكفأ من معاوية، لكنه لم يجد في عهده بداً من الصمت.
- أمره عثمان بن عفان على داره حينما حاصرها الثوار، وهذا يشعر باستخلافه، كما أناب رسول الله أبا بكر ليصلى بالناس في مرضه الأخير، فاستدل بعض المسلمين من هذا الإيحاء باستخلافه، وقالوا إنه أنابه عنه في دينهم، أفلا ينيونه عنه في دنياهم؟
- عبد الله يمت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدة صلوات.
- اشتهر عبد الله بالتقوى و الصلاح و العلم، على حين أن يزيد بن معاوية اشتهر بالخلاعة و المجون.

⁽¹⁾ أحمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 116، 117.

المبحث الثاني: اعتماد الأحزاب السياسية على الخطاب:

ساهم في رقي الخطاب في العصر الأموي اعتماد الخطباء على القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و ازدهرت الخطابة أيضا بسبب الصراع القائم بين الأحزاب السياسية فقد « أخذت الخطابة السياسية في النمو، وتعاطاها الأمويون بنجاح مما حمل الأحزاب السياسية على تغذيتها بعداواتهم»⁽¹⁾

ويصف "محمد المهدي" الخطاب في العصر الأموي قائلا:

«هذا عصر سارت الشجاعة فيه وراء البيان، وملك اللسان منه ما لم يملك السيف، و تسابق الناس فيه إلى غاياتهم، بحسب مقالاتهم، و قد رأوا المثل الأعلى في الكتاب العزيز فتساموا إلى طريقة في الإقناع، و إقامة الحجة، و اقتبسوا من لفظه، و استعانوا بروحه فحيوا في بلاغتهم حياة جديدة»⁽²⁾، وقد اعتمد خطباء الخوارج في إعداد خطبهم على النصوص القرآنية، و كانوا «يصفون بني أمية بجورهم في الأحكام و تعطيلهم حدود الله، و يتناولهم بألسنة حداد، و قد يضيفون إلى ذلك مواعظ تصور عمق تدينهم و تمسكهم بالعروة الوثقى، و من أشهر خطبائهم قطري بن الفجاءة»⁽³⁾، ولعل الخوارج من أهم الفرق السياسية التي اعتنت بالخطابة لأن «إيمانهم بعقيدتهم كان أشد قوة، وحماسهم لها كان عظيما متوقدا، و كانوا على منزلة عالية من البلاغة، يواتيهم بيانهم بما يشاءون من قول، و يدفعهم إيمانهم وحماسهم إلى الإكثار منه، و محاولة الإقناع و الغلب به»⁽⁴⁾، وكان يعارض حزب الخوارج كل الأحزاب السياسية، لهذا تصدى لهم «بآرائهم و معتقداتهم، و ناضلهم عن غاياتهم بالخطابة، كما ناضلهم في الوقائع الحامية، و الحروب الدامية»⁽⁵⁾ وكان خطباء الشيعة أيضا «يكثر من القدح في بني أمية و أنهم اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين و رثة النبوة و حملة الرسالة القدسية الهادين المهديين و الأئمة المنتظرين»⁽⁶⁾.

(1) بلاشير جيمس، تاريخ الأدب العربي، إبراهيم الكيلاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر/ الدار التونسية للنشر، تونس، ج2، ط1، أكتوبر 1986، ص 843.

(2) محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 241، 242.

(3) (6) ضيف شوقي، الفن و مذاهبه في النثر العربي، ص 68، 69.

(4) (5) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص 80.

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

حيث «لا يقل خطباء الشيعة كثرة عن خطباء الخوارج، ومن أشهرهم الحسين ابن علي بن أبي طالب وعلى بن الحسين وزيد بن علي والمختار الثقفي وسليمان بن سرد...»⁽¹⁾ ، فقد أظهرت خطب الشيعة «أنها كانت سيف مسلطاً في يد الشيعة، وكيف اعتمد عليها التوابون النادمون على خذلان الحسين، الساعون إلى التكفير عن خطيئتهم بالانتقام من أعدائه و قتلته، في تدبير أمرهم وجمع كلمتهم»⁽²⁾

وقد اعتمد الزبيريون على الخطابة، كغيرهم من الأحزاب، حيث كان اعتمادهم على الخطب أكثر من اعتمادهم على وسائل العنف، حتى قال بعضهم: «إن ابن الزبير لم يحصل على خلافته إلا بشكل خطابي»⁽³⁾

ومن أشهر خطبائهم نذكر: مصعب ابن الزبير، المهلب بن أبي صفرة، ابن الأشعث.... الخ.

و إنّ الذي بعث على نهضة الخطابة بشكل واسع في العصر الأموي هو تعدد الأحزاب السياسية، و أهم ما ميز الخطابة في هذا العصر «عذوبة ألفاظها، ومثانة أسلوبها وقوة تأثيرها واقتباسها من القرآن و انتهاجها منهجه في الإرشاد و الإقناع، و ابتداؤها بحمد الله و الصلاة على رسوله»⁽⁴⁾

أما عن خطباء بني أمية كانوا «يدعون الناس إلى التمسك بحبل الجماعة و تأييد الأمويين في حقوقهم التي اكتسبوها عن آبائهم، و تقديمهم لهم فروض الطاعة و الولاء، و كثيراً ما يخلطون ذلك بالترهيب و الترغيب، و قد يشيرون إلى مقتل عثمان و أن الأمويين أولياء دمه و وريثة خلافته»⁽⁵⁾

كما كان أغلب خلفاء بني أمية خطباء نذكر منهم: معاوية بن أبي سفيان، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان. أما من أشهر خطبائهم من الولاة نذكر، زياد بن أبيية، و الحجاج بن يوسف الثقفي.

(1) شوقي ضيف ، الفن و مذهب في النشر العربي، ص 69.
(2) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص 77، 78.
(3) محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص 81، 82.
(4) أحمد حسن زيات ، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط5، 1999، ص 128.

المبحث الثالث: خطباء الأحزاب السياسية:

1- الحجاج بن يوسف:

تعد شخصية "الحجاج بن يوسف" من أهم الشخصيات التي تحدث المؤرخون و الأدباء عنها، فلا تكاد تجد كتاب تحدث عن تاريخ الدولة الأموية أو الأدب في العصر الأموي و خاصة الأدب السياسي، إلا وذكر اسم الحجاج بن يوسف.

1-1 نسبه و مولده:

اسمه "أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي"⁽¹⁾.
و أمّه هي "الفارغة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي"⁽²⁾.
وقد اختلف العلماء في تاريخ مولده فمنهم من ذكر أنّه ولد "سنة تسع و ثلاثين، وقيل سنة أربعين، وقيل سنة إحدى و أربعين"⁽³⁾، و لكن هناك من يرجح أنّه "ولد سنة اثنتين و أربعين للهجرة"⁽⁴⁾

أما عن القبيلة التي ولد فيها "الحجاج بن يوسف"، فهي قبيلة تدعى ثقيف.

1-2 نشاطه:

الطائف هي موطن قبيلة الحجاج بن يوسف و إن "الطائف واحة مرتفعة جنوب شرق مكة، وهي مصيف لأهل مكة، و استفاد بنو ثقيف أهل الطائف من خصب و احتهم و من موقعها على طريق القوافل فجعلوا منها قرية (بلدة، مدينة) غنية مهمة نافست مكة و لكن لم تبلغ في المكانة

(1) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أحسان عباس، دار صادر، بيروت، م2، أكتوبر، 1969، ص 29.

(2) عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2002، ص 237.

(3) الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي)، النجوم الزاهرة، و زارة الثقافة و الإرشاد القومي، القاهرة، ج1، 1963، ص 230.

(4) الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد)، الأغاني، عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، م23، ص 88.

السياسية إلى ما كانت مكة قد بلغت إليه⁽¹⁾

و ينتمي "الحجاج" إلى أسرة فقيرة، لكن الفقر لم يكن حاجزا بينه و بين العلم و لا سيما أن والده "كان معلما و كان فاضلا"⁽²⁾

أما مهنته فكثرت حولها الأقاويل، فمنهم من قال أنه كان معلم صبيان، و منهم من رجح أن يكون بائع زبيب أو دباغة؛ لكن "ربما كان التعليم أولى بالتصديق، أما بيع الزبيب و الدباغة، فهمة سهل إصاقها به نشأته بالطائف، حيث يكثر الزبيب، و يحترف بعض الناس بدبغ الجلود"⁽³⁾

و يروى أن أم "الحجاج" سمته "كليب" و استنتج ذلك من حوار جرى بين "الحجاج" و "المنجم" إذ قال المنجم: لأن الذي يموت اسمه كليب، فقال الحجاج: أنا هو و الله، بذلك كانت سمته أمي⁽⁴⁾ و ذكر في كتاب وفيات الأعيان " أن للحجاج بن يوسف " أخ اسمه "محمد"⁽⁵⁾ و أخت اسمها "زينب"⁽⁶⁾ كما ذكرت أيضا صفاته الفيزيولوجية حيث ذكر أنه ولد "مشوها لا دبر" له، فنقب عن دبره"⁽⁷⁾

و إذ لم يمنع الفقر "الحجاج" من تلقى العلوم، فإن صفات القبح لم تمنعه أيضا من أن ينشأ شابا ليبيبا فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن، قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة"⁽⁸⁾

3-1 وفاته:

و لقد ذكر "ابن خلكان"⁽⁹⁾ أن "الحجاج بن يوسف" مات بسبب أكلة وقعت في بطنه، و حدث ذلك في شهر رمضان من سنة 95هـ (715م)، بمدينة واسط و دفن بها. و أما في مرض موته أنشد بيتان، لعبيد بن سفيان العكلي يقول فيها:

(1) عمر فروخ، تاريخ صدر الاسلام و الدولة الأموية، دار العلم للملايين، لبنان ط7، كانون الثاني 1986، ص 48، 49

(2) الأصبهاني، الأغاني، م23، ص88

(3) الحوفي أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 548

(4) ابن خلكان، وفيات، م2، ص50، 51

(5) ابن خلكان، وفيات، م2، ص54

(6) ابن خلكان، وفيات، م2، ص40

* الدبر: الدبر و الدبر: نقيض القبل، و دبر كل شئ عقبه و مؤخره، و جمعها أدبار، و الدبر و الدبر: الظهر (ابن منظور، لسان

العرب، مادة (دبر) ج2، ص1317، 1318

(7) عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، ص 237

(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م2، ص53

يا رب قد حلف الأعداء و اجتهدوا
أيمانهم أننى من ساكن النار
أحلفون على عمياء و يحهم
ما ظنهم بقديم الغفر غفار

1-4- علاقة "الحجاج بن يوسف" بالسلطة الأموية:

كان طموح "الحجاج بن يوسف" كبيراً، في الوصول إلى بلاط الدولة الأموية، فكان أول اتصالاً له بالسلطة "منذ عمل في شرطه روح بن زنباع" (1)، و هذا الأخير هو مستشار الخليفة عبد الملك بن مروان"، الذي نصب "الحجاج بين يوسف" قائداً على جيشه، و ما أبداه من إخلاص للخلافة و لأهلها، جعل الخليفة يثق به و يندبه لقتال عبد الله بن الزبير (2) فحاصر "الحجاج" مكة، و ضربها بالمنجنيق سنة ثلاث و سبعين" (3) و قد انتصر "الحجاج" على عبد الله بن الزبير" الذي قتل وصلب في هذه الواقعة و بعد هذا الإنتصار زادت ثقة "عبد الملك بن مروان" بالحجاج بن يوسف، فنصبه والياً على الحجاز و اليمن و اليمامة ثم والياً على العراق.

1-5- الحجاج بن يوسف والياً على العراق:

نصب الحجاج بن يوسف والياً على العراق سنة خمس و سبعين للهجرة، بعد وفاة بشر بن مروان"الوالي السابق على العراق، و دامت فترة حكم "الحجاج" على العراق عشرون سنة في عهد أعظم خلفاء بني أمية"عبد الملك بن مروان" و ابنه "الوليد" و كانت علاقة "الحجاج بن يوسف" مع أهل العراق تتسم "بالعنف و البطش و التحامل الشديد عليهم في خطبه، و ليس من شك في أن الحجاج من أخطب الرسميين في الحكم الأموي، كان ينمق خطبه و يحشوها بالمعاني الملتهبة و يلونها بالمتراذفات و يزينها بالاستشهادات بأبيات الشعر، كل ذلك كان يجري في النطاق السياسي الأموي، تأييداً لبني أمية و بطشاً بخصومهم" (4)

(1) أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 549

(3) الذهبي (شمس الدين بن أحمد بن عثمان)، تاريخ الأعلام و وفيات المشاهير و الأعلام، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص310

(4) مصطفى الشكعة الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص 101

الفصل الثاني: الخطاب في العصر الأموي

و لقد واجه "الحجاج" الكثير من الثورات و الفتن ففي فترة حكمه كثرت ثورات الخوارج في العراق⁽¹⁾ و من أشهر الثورات التي واجهه "الحجاج" نذكر ثورة "شبيب" و ثورة "ابن الأشعث"، و لم تكن منطقة العراق مسرح للفتن و الثورات فحسب، بل كانت مركزا متينا، للمعادين للحكم الأموي، و مأوى للكثير من الجماعات و العصابات، لكن "الحجاج" تصدى لهم بالسيف و البيان "فلا تكاد تخلو خطبة من خطبه من لعن و سب و وعيد و تهديد لأهل العراق"⁽²⁾

فقد نجحت سياسة "الحجاج" في إخماد نار الفتن، و ساد المنطقة نوع من الاستقرار و الطمأنينة في فترة ولايته، كما قام بالعديد من الإصلاحات و عدل الكثير من التنظيمات و التشريعات، و أشهر إنجاز قام به في العمران هو "بناء واسط، سميت بذلك لأنها وسط ما بين الكوفة و البصرة"⁽³⁾

1-6- الحجاج بن يوسف "خطيباً":

اشتهر "الحجاج بن يوسف" بفصاحة لسانه، و كانت خطبه تمثل "أوج العنف الذي أدركته الخطابة الأموية"⁽⁴⁾ و أهم ما يميز خطبه التهديد و العنف فهو "يصدر في ذلك كله عن إحساس عميق بالحق و الوتر و النعمة، و خيال خصيب مشبع بصور الأشلاء و القتل و الدمار، و يكاد لا يعبر عن حقيقة ما في نفسه، حتى يرسم أمامنا المشاهد المرعبة، و الشتائم المقذعة، تمده قدرة عجيبة على تشخيص المعاني و بعثها في يقين السامعين و وجدانهم"⁽⁵⁾

و للحجاج خطب كثيرة نذكر منها:

-خطبة له بالبصرة

-خطبته في أهل العراق، يصارحهم فيها بالكرهية

-خطبة ألقاها في موقعة دير الجماجم

-خطبته في أهل الكوفة

أما خطبته التي ألقاها في أهل الكوفة، كان يهدف بها إلى التأثير في مشاعرهم، و ذلك

ببعث صور التهديد و الوعيد و التخويف، من أجل إقناعهم بتغيير أفكارهم و مواقفهم.

(1) عمر فروخ تاريخ صدر الإسلام و الدولة الأموية، ص 149

(2) مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، ص 107

(3) الذهبي، تاريخ الأعلام، و وفيات المشاهير و الأعلام، ص 337

(4) (5) إيليا حاوي، فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص 277

سنتتبع و من خلال هذا البحث بنية الملفوظ الحجاجي لهذه الخطبة للكشف عن أساليبها التأثيرية، ووسائلها الإقناعية، التي استعملها الحجاج بن يوسف للوصول إلى أهدافه.

2- أبو حمزة الخارجي:

إسمه "المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري"⁽¹⁾ وكنيته أبو حمزة⁽²⁾ و لقب بالخارجي لأنه كان ينتمي إلى الخوارج الإباضية⁽³⁾ حيث كان "يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان و عشرين"⁽⁴⁾

و كان أبو حمزة الخارجي "خطيبا مفوها، و مناضلا عنيفا، و قائدا عسكريا عارفا بأساليب الحروب"⁽⁵⁾ ، و كان يتميز أيضا بالدهاء و حسن السياسة، فقد استطاع استمالة أهل المدينة إليه، لكن "الأمويين عاجلوه بحيث كثر العدد، فتصدى له أبو حمزة بمن معه، فانهزموا و قتل منهم عدد وفير، و فر هو إلى مكة، ثم قبض عليه و صلب مع جماعة من زعماء الخوارج"⁽⁶⁾ أما عن خطبه فهي تمثل موقف الخوارج إزاء حكام بني أمية، و الأوضاع السائدة، كما وضح أيضا في خطبه عقيدته في الدين و الخلافة، و من أشهر خطبه نذكر له الخطبة التي ألقاها في أهل المدينة عند افتتاحه لها، و له خطبة أخرى ألقاها أيضا على أهل المدينة بعد أن بلغه أن أهلها يعيرون أصحابه لحدثهم.

و هذه الخطبة الأخيرة سوف يعمل البحث على كشف بينية ملفوظها الحجاجي.

(1) (3) ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، تاريخ

الكامل، ج 5-6، ص 131

(2) (5) (6) إليها حاوي، فن الخطابة و تطوره عند العرب، ص 316

3- محمد الله ابن عباس:

لقد أتت الصحابة و التابعون على عبد الله بن عباس فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"⁽¹⁾ ، و سنتعرف على ملامح من حياة هذه الشخصية البارزة في تاريخ الإسلام.

3-1- نسبه و مولده:

اسمه "عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف"⁽²⁾ و كنيته "أبو العباس"⁽³⁾ و هو اسم أكبر أولاده. و أمه هي "أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه و سلم و شقيقته"⁽⁴⁾ . و أبوه "العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه و سلم، ولد قبل الرسول صلى الله عليه و سلم بسنتين، و كان إليه في الجاهلية السقاية و أقره عليها الإسلام"⁽⁵⁾ و لقد اختلف العلماء في تاريخ ولادته، لكن الرواية الأرجح هو أنه "ولد قبل الهجرة بثلاث سنين"⁽⁶⁾، و مكان ولايته هي "مكة و نشأ في أول عصر النبوة"⁽⁷⁾ .

(1) السحيباني (عبد الحميد بن عبد الرحمان)، صور من سير الصحابة، دار ابن خزيمة، الرياض، ط3، 1415هـ ، ص601
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، و أنباء أبناء الزمان، دار الصادر، بيروت ، م3، فبراير 1970، ص62
(3) (5) أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 1988 ، ص148
(4) السحيباني، صور من سير الصحابة، ص595
(6) المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين بن علي) مروج الذهب و معادن الجواهر، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر، ج1-2، ط3، 1958، ص108
(7) خالد عبد الرحمان العك ، موسوعة عظماء حول الرسول، ج2، ص1226

2-3- نهايته:

يعرف عبد الله بن عباس بأنه "حبر الأمة، الصحابي الجليل، فقيه العصر و إمام التفسير"⁽¹⁾ نشأته كانت مع رسول الله (ص)، و الخلفاء الراشدين، فكان ابن عباس يقول "نحن أهل البيت، شجرة النبوة، و مختلف الملائكة، و أهل بين الرسالة، و أهل بيت الرحمة، و معدن العلم. و قال: ضمنى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال (اللهم علمه الحكمة)⁽²⁾

و قد كان لعبد الله بن عباس مكانة رفيعة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه، تتم عن حبه و تقديره لعبد الله حيث كان يقول فيه "ابن عباس فتى الكهول، له لسان سئول، و قلب عقول"⁽³⁾

و يقول فيه أيضا "نعم ترجمان القرآن ابن عباس، لو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل"⁽⁴⁾ أما عثمان بن عفان (رضى)، فقد كان يثق به ثقة كبيرة إذ "حج بالناس..... عبد الله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك"⁽⁵⁾

و كان عبد الله ابن عباس يقف إلى جوارى علي رضى الله عنه في الصراء و الضراء، و رغم صلة القرابة التي كانت تجمعهما، فإنه بعد مقتل على رضى الله عنه، لم يشأ أن يقف من خلافة معاوية موقف العداء لأنه "رجل علم يجب أن يجنب نفسه مواطن الشطط..... و كان معاوية، برغم اختلافه مع ابن عباس في الرأي يجله و يقدره حق قدره"⁽⁶⁾.

(1) (2) خالد عبد الرحمان العك، موسوعة عظماء حول الرسول، ج2، ص1226

(3) (4) حسن ابراهيم حسن، زعماء الاسلام، ترجم واحد و ثلاثين من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993، ص 183

(5) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج4، ص405

(6) حسن ابراهيم حسن، زعماء الاسلام، ص 186

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

و لم يبايع عبد الله ابن عباس، يزيد بن معاوية في خلافة أبيه إذ يبدو أنه لم يحب أن ينغمس في التيارات السياسية انغماسا يصيبه منه أذى⁽¹⁾

و يروى عن صفات ابن عباس الفيزيولوجية أنه "أبيض طويل مفرطا في الطول، مشربا صفرة، جسيما و سима، صبيح الوجه، يخضب بالحناء"⁽²⁾

و من أجمل ما روى عنه هذا القول "إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلم الناس، و لكن عبد الله كان برغم جمال خلقه، جميل النفس، عالي الأخلاق، متواضعا في غير ضعف، كريما في غير سرف، حلما حتى ليضرب المثل بحلمه"⁽³⁾

3-3- وفاته:

لقد فقد ابن عباس بصره في آخر أيامه، إذ لم يبأس لما أصابه، فكان يقول⁽⁴⁾

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني و قلبي منهما نور
قلبي ذكي، و عقلي غير مدخل و في فمي صارم كالسيف ماثور

و توفي عبد الله ابن عباس في خلافة عبد الملك بن مروان، و ذلك في سنة ثمان و ستين، و قيل في سنة تسع و ستين بالطائف⁽⁵⁾

3-4- خلافة عبد الله ابن عباس بابن الزبير:

عندما تهيأت الظروف لابن الزبير، قام بدعوة لنفسه ليكون خليفة للمسلمين، فبايعه كثير من أهل الحجاز و أهل مصر و العراق، و هناك من الأشراف ممن لم يرضوه خليفة و لم يبايعوه، و نذكر منهم ابن الحنفية و عبد الله بن عباس و غيرهم. و لكن رغم كراهية ابن عباس لذلك فإنه أخيرا رغب في مبايعته و إظهار الطاعة له غير أن ابن الزبير لم يحسن معاملته بل أعرض عنه و قدم عليه غيره⁽⁶⁾

(1) حسن إبراهيم حسن، زعماء الاسلام، ص 186

(2) (3) المرجع نفسه، ص 189

(4) (5) المسعودي، مروج الذهب، ج 1-2، ص 108

(6) مصطفى سعيد الحن، أعلام المسلمين، حبر الأمة و ترجمان القرآن، دار القلم، دمشق، ط 4، ج 15، 1994، ص 173

و كانت علاقة ابن عباس بابن الزبير مضطربة؛ و هناك الكثير من المواقف⁽¹⁾ التي تظهر ذلك.

3-5 - محمد الله ابن عباس خطيباً:

كان ابن عباس فصيح اللسان فليل عنه "خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما و هو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ و يفسر، فجعلت أقول: ما رأيت و لا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت"⁽²⁾.

4 - محمد الله ابن الزبير:

إن التاريخ العربي الإسلامي حافل، بأسماء رجال جمعوا بين العلم و العمل، و بين العبادة و السياسة، و لنا وقفة مع أحدهم، و هو الصحابي الجليل عبد الله ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أحد العشرة المبشرين بالجنة.

4-1 - نسبه و مولده:

إسمه "عبد الله ابن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الأسدي"⁽³⁾ أما كنيته "أبا بكر ثم قيل له أبو خبيب"⁽⁴⁾.
أما أمه هي "أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها"⁽⁵⁾ و أبوه "الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، و حوارى رسول الله صلى الله عليه و سلم و ابن عمته، و أحد الأبطال المشاهير في الجزيرة العربية"⁽⁶⁾

(1) أنظر المسعودي، مروج الذهب. ج1-2

(2) محمد يوسف الكاند هلوي، حياة الصحابة، دار الريان للتراث، القاهرة، ج4، ط1، ص320.

(3) (4) العسقلاني (شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن علي الكنانى)، الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر ج2، ط1، 1328هـ، ص309

(5) ابن خلكان، و خيات الأعيان، م3، ص71

(6) السيوطى جلال الدين، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، لبنان، ص197

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

و قد ذكر ابن سعد عن الواقدي، أن عبد الله ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا بالمدينة" (1)

و ينتمي عبد الله ابن الزبير إلى قبيلة قريش، فهو قرشي من ناحية أبيه و أمه، أما عن أسرته فنجد جدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم، اسلمت و ها جرت - عمة أبيه: خديجة بنت خويلد، أول زوجات رسول الله عليه و سلم و أول من آمن به من النساء. خالته: عائشة بنت أبي بكر الصديق و زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم" (2)

4-2- بهاتمه:

لقد كان "عبد الله ابن الزبير" أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، و فرح بولادته جميع المسلمين لأن اليهود كانوا يقولون: سحرناهم فلا يولد لهم ولد، فحنكه رسول الله صلى الله عليه و سلم بتمر لأكها" (3) و وصف بأنه "عفيف الإسلام قارئ القرآن" (4) لا سيما و أنه نشأ في بيت عائشة رضی الله عنها لأنها لم تكن قد رزقت أولادا فأخذت عبد الله من أختها أسماء ليعيش عندها، فنشأ في بيت النبوة و أصبح كأنه ابن عائشة، حتى كان يقال لها: أم عبد الله (5) فنشأت عبد الله في أسرة النبي جعلت منه صحابيا جليلا، يحفظ على النبي صلى الله عليه و سلم، و على خالته عائشة رضي الله عنها، فروى عنه "ثلاثة و ثلاثين حديثا" (6) ، كما أن قربه أيضا من بيت النبوة أكسبه "علما و اسعا و سيرة حميدة و شجاعة كبيرة، و شب في فترة عصبية و أزمة سياسية ولدت عنده الطمع في أن يرى أباه خليفة للمسلمين" (7) و لكن تحقق الأمر معه "فلما مات يزيد بويع له بالخلافة" (8)

و إن لم تطل فترة خلافته، حيث اشتد النزاع بينه و بين خلفاء بني أمية.

(1) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج2، ص 401

(2) (5) ماجد لحام، أعلام المسلمين، عبد الله ابن الزبير العائد ببيت الله الحرام، دار القلم، دمشق، ج59، ط1، 1995، ص23

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 197

(4) العسقلاني، الاصابة، ج2، ص 309

(6) ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد)، أسماء الصحابة الرواة و ما لكل واحد من العدد، سيد كردي حسن، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص99

(7) ماجد لحام، أعلام المسلمين، ج59، ص203، 204

(8) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 197

الفصل الثاني: الخطابة في العصر الأموي

أما عن صفاته الفيزيولوجية فوصف بأنه "أدما نحيفا ليس بالطويل، معصوبا خفيف اللحم، عارضاه خفيفان، أطلسا خفيف اللحية، ليس في وجهه من الشعر إلا القليل، و كانت لحيته صفراء ما اكتملت حتى بلغ ستين سنة... و كان له جمعة* مفروقة طويلة، بين عينيه أثر السجود"⁽¹⁾

4-3- مقتل عبد الله بن الزبير:

عندما تولى خلافة دمشق "عبد الملك بن مروان"، أرسل لقتال "عبد الله بن الزبير" جيشا قويا، بقيادة "الحجاج بن يوسف الثقفي"، يضم هذا الجيش "ألف و خمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف و جعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما بظن أنه يقدر على قتال عبد الله بن الزبير، و كان ذلك في ذي القعدة سنة اثنين و سبعين فثار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج الناس و عبد الله محصور بمكة"⁽²⁾ و دامت فترة حصار مكة ثمانية أشهر و سبع عشرة ليلة، و كانوا يضربونه بالمنجنيق"⁽³⁾ و ذكر علماء السير بأنه "لم تنزل الحرب إلى قبيل مقتل ابن الزبير، ففرق عامة أصحابه و خذلوه، و خرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان حتى ذكر أن ولديه حمزة و حبيب أخذوا أنفسهما أمانا"⁽⁴⁾

و مات عبد الله ابن الزبير شهيدا في "سنة ثلاث و سبعين من الهجرة"⁽⁵⁾، و قد فرح الحجاج و أنصاره بموته، و إن فرحهم هذا إلا دليلا على شجاعة الرجل و بسالته في الدفاع عن مايراه حق، و يروى أن الحجاج قد صلبه، و هذا ما كان يخشاه عبد الله ابن الزبير فقال: "لأمه أسماء إني لا آمن إن قتلت أن يمثل بي و أصلب، قالت: يا بني إن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ"⁽⁶⁾ و ماتت أمه بعده، و عمرها مائة سنة رضى الله عنها.

* جمعة: بالضم: مجتمع شعر الرأس و هي أكثر من الوفرة (ابن منظور لسان العرب، مادة (جمعة)، ج1، ص687)

(1) ماجد لحام، أعلام المسلمين، ج 59، ص27.

(2) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)؛ الإمامة و السياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، مصر، د.ت، ج1-2، ص24.

(3) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، محمد عبد القادر عطا/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، د.ت، ص124

(4) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج6، ص125

(5) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)، الإعلام بوفيات الأعلام، مصطفى بن علي عوص/ربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص49

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م3، ص75

4-4- علاقة ابن الزبير بالخلافة الأموية:

لم يكن عبد الله ابن الزبير من "أنصار معاوية و لا مقرا بخلافته بل يجد نفسه أحق بها منه"⁽¹⁾ فبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، استغل ابن الزبير نقمة المسلمين على يزيد بن معاوية، و استغل أيضا واقعة كربلاء، و خروج أهل المدينة و قام بثورة أو حركة مسلحة ضد بني أمية، منطلقا من مكة ليعيد الخلافة إلى منبتها الأول في الحجاز، و دعا أعيان القبائل من أهل تهامة و الحجاز إلى بيعته، فبا يعوه جمعيا باستثناء عبد الله بن عباس و محمد بن الحنفية، ثم طرد عمال يزيد من مكة و المدينة"⁽²⁾. و تحققت أمنية عبد الله ابن الزبير، و أصبح خليفة للمسلمين سنة أربع و ستين للهجرة⁽³⁾ حيث دامت خلافته تسع سنوات، لم يعرف خلالها الاستقرار و الطمأنينة، بسبب "خروج بعض الفئات على طاعته، و تحدي عبد الملك بن مروان لسلطته"⁽⁴⁾، و لمحاربة هذه الفئات، استعان بأخيه مصعب لمواجهة المختار في العراق، أما لمواجهة الخوارج استعان بالمهلب بن أبي صفرة.

4-5- عهد الله ابن الزبير خطيبا:

كان عبد الله ابن الزبير فصيح اللسان حتى قيل فيه أنه لم يكن خليفة على المسلمين إلا بشكل خطابي فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الإسلام، فقال: معاوية وابنه سعيد و ابنه و عبد الله بن الزبير، و كان إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قيس وزروراء"⁽⁵⁾ و لعبد الله ابن الزبير خطب كثيرة متناثرة في كتب التاريخ و الأدب نذكر منها:

-خطبة يعارض فيها البيعة ليزيد بن معاوية.

-خطبة قالها لما قتل الحسين.

-خطبة لابن الزبير في الخوارج.

-خطبة عبد الله ابن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب.

(1) ماجد لحام، أعلام المسلمين، ج59، ص75

(2) عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، ص89

(3) (4) (5) ماجد لحام، أعلام المسلمين، ج59، ص137

الفصل الثانی: الخطابة في العصر الأموي

و إن خطبته التي قالها، و هو ينعى أخاه مصعب، رغم قصرها إلا أنها وافية بالعرض، بدأها بآيات من القرآن الكريم، و ختمها بالدعاء لنفسه و للسامعين.

و لا يقف في هذا المقام إلا رجل وصف بالثقوة و الشجاعة، و الإيمان الكبير، عزى نفسه وذويه، مضمنا كلمات العزاء برسالة إلى عبد الملك بن مروان، يثبت له فيها أنه قادر على مواجهة جيشه العظيم، رغم عدته القليلة.

الفصل التطبيقي

بنية الملقوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

- تمهيد

- المبحث الأول: بنية الملقوظ الحجاجي لخطبة الحجاج بن يوسف في أهل العراق

- المبحث الثاني : بنية الملقوظ الحجاجي لخطبة أبي حمزة الخارجي في أهل المدينة

- المبحث الثالث: بنية الملقوظ الحجاجي لخطبة عبد الله ابن عباس يرد على عبد الله ابن الزبير

- المبحث الرابع: بنية الملقوظ الحجاجي لخطبة عبد الله ابن الزبير في قتل أخيه مصعب

تمهيد:

يمكن أن ندرج بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة، ضمن مجال العملية التواصلية الذي حدد عناصرها "رومان جاكبسون" "R. Jakobson" في ستة عناصر هي:

"أ- المرسل: هو ذلك الذي يرسل الرسالة سواء أكانت سمعية أم بصرية أم غيرها، و يمكن أن يكون ذاتا أو آلة أو عنصر طبيعيا، إلخ.

ب- المرسل إليه: هو ذلك الذي يتلقى الرسالة، و يقوم بعملية الاستئناس.

ج- المرجع: هو ما نتحدث عنه من موضوعات العالم.

د- السّئن: هو نسق القواعد المشتركة بين الباث و المتلقي، و الذي من دونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤوّل.

هـ- القناة: هي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل و المرسل إليه، و عبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى.

و- الرسالة: هي التي تحقق التواصل، و يمكن أن تكون لسانية أو سيميائية⁽¹⁾."

و هذه العناصر هي أركان أساسية في البنية الحجاجية، و لكل عنصر من هذه العناصر مرجع في تحديد إحدى هذه الوظائف⁽²⁾ الستة و هي:

- | | |
|-----------------------------|------------------------------------|
| - Fonction Emotive | - الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية. |
| - Fonction Conative | - الوظيفة الايعازية أو الندائية. |
| - Fonction Référentielle | - الوظيفة المرجعية. |
| - Fonction Phatique | - وظيفة إقامة الاتصال. |
| - Fonction Métalinguistique | - وظيفة ما فوق اللغة. |
| - Fonction Poétique | - الوظيفة الشعرية. |

(1) عمر أو كان ، اللغة و الخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب /لبنان، 2001، ص 48، 49
(2) الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 12، 13.

الفصل التطبيقي: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

أما من وجهة نظر وظيفية، فقد حدد "بوبر" "Popper" وظائف اللغة في أربع وظائف⁽¹⁾ هي:

- 1- الوظيفة التعبيرية: لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية.
 - 2- الوظيفة الإشارية: لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين.
 - 3- الوظيفة الوصفية: لوصف الأشياء في المحيط الخارجي.
 - 4- الوظيفة الحجاجية: لتقييم الحجج و تبريرها.
- وقد أضاف "بوبر" الوظيفة الحجاجية ، التي مهمتها تقييم الحجج و تبريرها، و هي الوظيفة التي سأركز عليها في تحليل بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة.
- أما الهدف من تحديد العناصر التواصلية لبنية الملفوظ الحجاجي داخل الشبكة التواصلية هو تحقيق الإبلاغ و الإفهام و الإقناع.
- و إنّ الحجاج الذي يعني بدراسة الخطب المختارة ليس مرتبطا بعناصر الوضعية التواصلية فقط، بل مرتبط أيضا بالصيغ اللغوية من جهة أخرى، أيّ حجاج مرتبط باللغة بالدرجة الأولى، إذ هو حجاج لساني على نحو ما ذكره "ديكرو".

(1) الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 14.

الفصل التطبيقي: ===== بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

المبحث الأول: بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة الحجاج بن يوسف " في أهل العراق:

إنّ الحجاج بن يوسف (المرسل) يوجه خطبته (الرسالة) إلى أهل العراق أو الكوفة (المتلقى)، و يهدف بخطابه إلى استمالة المتلقى و التأثير فيه و إقناعه بأفكاره و موافقه .

إذ تنوعت الملامح الحجاجية في بنية الملفوظ، فقد وظف المرسل لتحقيق هدفه شتى الوسائل من آليات لغوية و آليات بلاغية مثل الاستعارة و التشبيه...إلخ. كما تعددت الحجج و الأدلة في كل مرة بين استحضار النصوص القرآنية، و الأبيات الشعرية، و هذه الأنواع من النصوص تشكل الخلفية الثقافية المشتركة بين الخطيب (المرسل)، و أهل العراق (المتلقى)، لذلك فإن استحضارها في الخطاب يمثل حججا لها تأثيرها الخاص في المتلقى.

و إن الافتتاح بالبسمة و الحمدلة في الخطبة له أهميته، فهو بمثابة تعزيز لعقد التواصل بين المرسل و المتلقى، و يبدو أن غياب البسمة و الحمدلة في خطبة الحجاج بن يوسف، هو غياب قصدي، يهدف إلى تحديد نمط الخطاب الذي سيوجه إلى المتلقى، كما سيظهر ذلك في التحليل.

- المقطع الأول:

استبدل المرسل بملفوظ البسمة و الحمدلة ملفوظ شعري يقول فيه:

(أنا ابن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني) ⁽¹⁾

و ليس صاحب البيت الشعري " الحجاج بن يوسف " بل الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي * ، ولكن المرسل وظفه في خطابه توظيفا "أكسبه قوّة لم تكن للغته و حدها، و لم تكن لمرسله الأصل، و ذلك عائد إلى مرجع الأداة اللغوية، و هذه الأداة هي إشارية الذات، ضمير المتكلم "أنا" التي تحتل صدر الخطاب (البيت). فتصبح هي بؤرة ** الخطاب التي تتفرع عنها بقية عناصره أو صفاته"⁽²⁾

1- الصفة:

نسب المرسل الصفات لنفسه في الشطر الأول بقوله (أنا ابن جلا و طلاع الثنايا). و صفة (ابن جلا) دلالتها تعني "الليث، سميّ بذلك لوضوح أمره، و كان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل" ⁽³⁾ فالحجاج بن يوسف يشبه نفسه بالأسد في وضوح أمره، و كذلك بالرجل الشجاع الذي يطلع في الغارات من ثنية الجبل. و المرسل في الملفوظ يدّعي هذه الصفات و ينسبها إلى نفسه حيث يمكن المتلقى من إدراك قوته و شجاعته بالاعتماد على الدلالات التي تحملها الصفة. و انتقل إلى صفة أخرى (طلاع الثنايا) و دلالتها تعني " الثنايا: جمع ثنية الطريق في الرمل" ⁽⁴⁾ واستعمل "الحجاج بن يوسف" هذه الصفة ليبين أنه جلد يطلع الثنايا رغم ارتفاعها و صعوبتها.

(1) الجاحظ ، البيان و التبیین، مج 2.1 ،ص 202.

* من قصيدة رواها الأصمعي في الأسمعيات (75) لسحيم بن وثيل الرياحي، (الهامش) نفس المرجع السابق و الصفحة. (2) الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 254.

** البؤرة: تستند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة، أنظر: أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب، ص 28.

(3) المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة و الأدب، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج1، ط1، 2003، ص 317.

(4) المبرّد، الكامل في اللغة و الأدب، مج1، ص 318.

الفصل التطبيقي: = بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

وظف المرسل الصفة ليبين للمتلقى أنه يستطيع مواجهة الصعوبات للوصول إلى أهدافه. وكان قصد المرسل التأثير في المتلقى و إقناعه منذ الوهلة الأولى للخضوع إلى أوامره، و تنفيذ قراراته.

2- الكناية :

المقصود من عبارة الكناية الموجودة في الشطر الثاني (متى أضع العمامة تعرفوني) التلميح، ودلالة (العمامة) في العرف العربي أنها "تلبس في الحرب و توضع في السلم"⁽¹⁾ ، وهنا إشارة من "الحجاج" إلى أنه كان موجودا في ساحة الحرب. و يقصد المرسل باستعمال الكناية إلى إلتماس المتلقى بأن المرسل رجل حرب معروف بشجاعته، وقوته في ساحة المعارك فعليه أن يحذر منه، وما عليه إلا إتباع أوامره.

- المقطع الثاني:

إنّ الملفوظ الحجاجي (أما و الله إني لأحتمل الشر بحملة، و أحذوه بنعله، و أجزيه بمثله، و إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها، و إني لصاحبها، و إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم و اللحي)⁽²⁾ تقسم بنيته الحجاجية إلى ثلاثة حجج، و الحجة الأولى تنقسم إلى ثلاث مقدمات، أما النتيجة فهي ضمنية.

* **الحجة الأولى** ← أما و الله إني لأحتمل الشر بحملة / وأحذوه بنعله / و أجزيه بمثله.

الحجة الأولى ← مقدمة أولى + مقدمة ثانية + مقدمة ثالثة

* **الحجة الثانية** ← إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها.

الحجة الثانية ← إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم و اللحي.

فكل من الحجة الأولى و الثانية، عبارة عن استعارة، و يعرفها السكاكي بقوله "أن تذكر أحد طرفي التشبيه و تريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على

⁽¹⁾المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، مج1، ص 318.

⁽²⁾ الجاحظ، البيان و التبيين، مج 2، ص 202.

الفصل التطبيقي: **بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به" (1) وهنا يشير السكاكي إلى أنّ المتكلم يعدل عن التعبير الصريح إلى توظيف الصورة البلاغية (الاستعارة)، و هو ما يصفه بإدعاء المتكلم.
و تعرض "الآن بواسينو" "Alain Boissinot" إلى أهمية الإستعارة في النص في كتابه النصوص الحجاجية "Les textes argumentatifs" وتعرض كذلك إلى دور الاستعارة في عرض الحجج و التأثير على المتلقي، على اعتبار أن وجودها في النص الحجاجي ليس تزينا و لا شعريا، و إنما وسيلة أساسية و متميزة للاستدلال بالقياس، و عامل لا يمكن الإستغناء عنه من عوامل الإنسجام النصي" (2)

1- الإستعارة: (الحجة الأولى - الحجة الثانية):

- **الحجة الأولى** ← إني لأحتمل الشر بحملة / وأحذوه بنعله / و أجزيه بمثله.

و استعمل المتكلم في التركيب اللغوية لفظ (الشر) وله دلالة معنوية ينقله المتكلم إلى المجال المادي بإقرانه بالألفاظ (أحمل، أحذوه، أجزيه) التي تدل على فعل الدلالة المادية، وهنا إشارة من "الحجاج بن يوسف" على أنّه قادر على فعل ما يريد، و بالإضافة إلى ذلك فإن النص يحمل قرينة التنفيذ بالحكم الشرعي.

و هذا إدعاء من المرسل ليظهر قوته و بطشه للمتلقى، باستعمال اللفظ الذي يجسد المعني ماديا، لكن دلالاته المقصودة هو التأثير في المتلقي و إقناعه بعدم مواجهته لأنه يتميز بالقوة و البطش.

- **الحجة الثانية** ← إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها .

إن لفظا (أينعت) و (قطاف) يحملان الدلالة المادية للفعل و يجسده، و كأن "الحجاج بن يوسف" البستاني الذي يقطف الثمار التي نضجت، و لكن لفظ (رؤوسا) يحمل الدلالة على الانسان، و من خلاله يدرك المتلقي الأبعاد المقصدية للمرسل، فقصدته إظهار صرامته في تنفيذ و عيده.

(1) السكاكي ، مفتاح العلوم، ص 369.

(2) الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية (مقال)، مجلة اللغة و الأدب، ص 284.

الفصل التطبيقي: بديهة الملفوظ الحجاجي، الخطبة في العصر الأموي

و تظهر القيمة الحجاجية للاستعارة، في تحقيق المرسل هدفه الحجاجي، المتمثل في التأثير على المتلقي، و إقناعه بعدم مواجهته، لأنه سينفذ و عيده.

والاستعارة في الحجة الأولى و الثانية، استعارة حجاجية لأنها "تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي" (1) إذ يهدف الحجاج بن يوسف إلى تغيير موقف أهل العراق اتجاه و اليهم. وخاصة و أنّ الحجاج هو الوالي الجديد على العراق. بالتأثير عليهم و إقناعهم بالبيان بدلا من السيف.

وننتقل إلى الحجة الثالثة، و استعمل فيها المرسل الوصف المادي المباشر.

- **الحجة الثالثة** ← إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم و اللحيّ.

استحضر المتكلم في التركيبة الوحدات اللسانية (الدماء، العمائم، اللحي) التي تحمل دلالة مادية، استعمل المتكلم (الدماء) للدلالة على الموت، و (العمائم) للدلالة على الحرب أو قرب موعدها، لأنّ المعروف أن العرب تلبس العمائم في الحرب، أما (اللحي) للدلالة على جنس الرجال.

واستعمل المرسل الصورة المادية، ليلمح عن قرب موعد الحرب، ولكن قصده التأثير في المتلقي و إقناعه بتغيير مواقف السلبية قبل فوات الآوان.

2- الأدوات اللغوية:

ولتثبيت الحجج السابقة وتقويتها استعملت الأدوات اللغوية، التي تلعب دورا حجاجيا، داخل الملفوظ، و منها:

* التوكيد:

لجأ المتكلم إلى استعمال التوكيد، لأنه يريد تأكيد الحجج التي قدمها، وتثبيتها في ذهن السامع، و يقول الزركشي في التوكيد " إنّما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له فإن كان المخاطب سانجا ألقى إليه الكلام خاليا عن التأكيد، و إن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد ، و إذا كان منكرا وجب تأكيده" (2) ، أما "الحجاج بن يوسف" على علم بإنكار أهل العراق لولاتهم، لهذا وجب عليه التأكيد في حججه لتثبيتها.

(1) عمر أو كان ، اللغة و الخطاب، ص 134.

(2) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 310

الفصل التطبيقي: بذية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

لذلك نجده يستعمل أنواع متعددة من أدوات التوكيد (القسم، لام التوكيد، إن، قد) مثل:

* أما و الله، إني لأحمل.....، و إني لأرى.....، و إني لأنظر.

استعمال التوكيد لتثبيت الحجج المقدمة، و بما أن المرسل تتوفر فيه شروط الاستعلاء و السلطة، فإن توكيده له تأثير مباشر على المتلقي، حيث يخضعه إلى قبول حججه دون نقاش. فالتوكيد كانت وظيفته في الملفوظ تثبيت الحجج، وتقوية العلاقة الحجاجية بين مختلف عناصر الحجاج، فالتوكيد في هذا الملفوظ، دور الرابط الحجاجي.

* العطف:

كان للأدوات العطف أيضا دور حجاجي في الملفوظ، حيث ربط حرف عطف "الواو"، بين مقدمات الحجة الأولى (إني لأحتمل الشر بحملة و أحذوه بنعله و أجزيه بمثله) وتتضح القيمة الحجاجية للعطف عندما عطف المتكلم (أجزيه) على (أحتمل، أحذوه)، لأن الفعل (أجزيه) هو الفعل المناسب للفظ (الشر)، وجاء به المرسل لكي يوضح للمتلقي مقاصده و يضمن بذلك التأثير فيه، ويقنعه بأنه سينجز فعله التهديدي، إذا لم يغير من سلوكاته و مواقفه. كما ربط أيضا حرف العطف "الواو" بين الحجج الثلاثة (أما و الله إني لأحمل.....و إني لأرى.....وإني لأنظر.....) ومن القيم الحجاجية المتولدة عن العطف هو محاولة من المتكلم في نقل مخاطبه من صورة إلى أخرى، إذ من دلالات العطف هو الاشتراك في الحكم، حيث ينزل المعطوف منزلة المعطوف عليه. و استعمال العطف في النص دليل على القوة أيضا، وبذلك يحقق المرسل هدف الإقناع و التأثير.

3- الأفعال اللغوية:

إن مؤسس نظرية الأفعال اللغوية أو الأفعال الكلامية هو "أوستين" "J.Austin" لكن التطور الأساسي للنظرية تحقق على يد "سورل" "J.R Searle" الذي قدم تصنيف للأفعال الكلامية، وقد جعلها في خمسة أصناف⁽¹⁾ هي: الإخباريات، و التوجيهات و الإلتزاميات، و التعبيرات، و الاعلانيات.

(1) أنظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002،

الفصل التطبيقي: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

و إنّ لأفعال اللغوية علاقة بالحجاج حيث "يرى (فان ايميرن و جرو تندورست) أنّ الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كلّ منها بدور محدّد في الحجاج بين طرفي الخطاب، و تترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري، إن لم يكن كلّها ليعبّر عن وجهة نظره، وليحدّد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند إقتناعه بأنّها لم تعد صالحة، كما يعبّر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة" (1)

أما الأفعال المتوفرة في الملفوظ هي أفعال مباشرة في قوله (أما و الله إني لأحمل.....أحدوه.....أجزيه.....و إني لأرى.....وإني لأنظر.....)، و استعملها المتكلم لغرض التهديد و الوعيد، و هي حسب تصنيف "سورل" أفعال إلزامية و "غرضها الانجازي هو إلزام المتكلم.....بفعل شيء في المستقبل" (2)

فالمرسل حقق فعلة الانجازي بامتياز على مستوى الملفوظ لتوفر شروط الاستعلاء و السلطة في "الحجاج بن يوسف"، فقد حقق قصده الحجاجي، لأنّه في مرتبة إجتماعية و سياسية أعلى من أهل العراق، تسمح له بتهديدهم على أرض الواقع.

و كان دور الأفعال الإلزامية تقوية العلاقة الحجاجية بين عناصر الحجاج، و دعم المرسل للوصول إلى هدفه الحجاجي و هو التأثير في المتلقى، و إقناعه بتغيير أفكاره و مواقفه اتجاه الوالي الجديد على العراق.

ويبدو أن تحليل بنية الملفوظ الحجاجي في المقطع الثاني، تكشف عن طبيعة العلاقة القائمة بين الحجج المقدمة، إذ تسير الحجج في اتجاه حجاجي واحد وتخدم نتيجة ضمنية واحدة المتمثلة في الهدف الحجاجي للمرسل، الذي يقصد إلى التأثير في المتلقى و إقناعه بتغيير أفكاره، حيث يخضعه لصور التهديد و تنفيذ الوعيد. و لتوضيح ذلك سترتب هذه الحجج المقدمة على السلم الحجاجي.

(1) الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 481، 482.

(2) محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 79.

4- السلم الحجاجي:

يكون ترتيب الحجج المقدمة على السلم الحجاجي و هو "عبارة عن مجموعة غير فارعة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه⁽¹⁾

كما يتميز السلم الحجاجي بجملة من القوانين نذكر منها:

- "قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

- قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

- قانون القلب: مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"⁽²⁾

و يعتمد في ترتيب الحجج على الروابط الحجاجية كالأدوات اللغوية مثلا، لكن في هذا الملفوظ سترتب الحجج بالاعتماد على الاستعارة لأنّ هناك "من يرجّح تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي أيضا"⁽³⁾.

وتمثل الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

تنفيذ التهديد و الوعيد (الحجاج بن يوسف)

إني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمائم و اللحي.
إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها.
إني لأحتمل الشر بحملة، و أحذوه بنعلة، و أجزية بمتله.

(1) طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، ص 277

(2) المرجع نفسه ، ص 277، 278

(3) الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص ص 494، 495

1- التمثيل:

لقد تحدثت سابقا عن الاستعارة و دورها الحجاجي، و الآن أتحدث عن التمثيل الذي يفضله يتم "عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الاحتجاج، و بيان حججه".⁽¹⁾

واستعمل التمثيل في بنية الملفوظ الحجاجي:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم
ليس براعى إبل و لاغنم
قد لفها الليل بعصلي
قد لفها الليل بسواق حطم
ولا بجزار على ظهر وضم
أروع خراج من الدوى

مهاجر ليس بأعرابي)⁽²⁾

وعلق "محمد العمري" على هذه الابيات قائلا: "وتقلنا الشواهد الشعرية المختلفة إلى عالم الرحلة الشاقة المضنية في الصحراء حيث يدفع السواق الحطم (أي الحجاج نفسه) الإبل (أهل الكوفة بالتحديد) في مجاهل الصحراء، بدون شفقة، و هي أبيات تعلن الحرب على أهل الكوفة"⁽³⁾

لكن الذي ينقلنا إلى عالم الرحلة الشاقة على مستوى اللغة هو استعمال المتكلم اسم الإشارة "هذا" التي تحتل صدر هذا الملفوظ، وتصنف "هذا" ضمن الاشارات المكانية و هي "عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها و تفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، و يكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريبا أو بعدا أو وجهة"⁽⁴⁾

وبفضل الأداة الإشارية "هذا" تم عقد الصلة بين الصورة التي تمثل العلاقة بين الحجاج و أهل العراق، و الصورة الثانية التي تمثل العلاقة بين السواق الحطم و الإبل في مجاهل الصحراء فقصد المرسل بالتمثيل إلى مزج الصورتين معا في ذهن المتلقي، ليكون التأثير مضاعفا، بتلك الصورة التي تحمل معاني التهديد و الترهيب، بإعلان الحرب عليهم و التنكيل بهم.

⁽¹⁾ الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 497

⁽²⁾ الجاحظ، البيان و التبيين، مج 2، ص 202.

⁽³⁾ محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص 107.

⁽⁴⁾ محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 21.

الفصل التطبيقي: **بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
استعمل المرسل التمثيل لعرض حججه القوية و المؤثرة و المقنعة، تكون ردة فعل المتلقي الخضوع و الاستسلام و الابتعاد عن المواجهة.

المقطع الرابع:

إن بنية الملفوظ الحجاجي (إي و الله يا أهل العراق، و الشقاق و النفاق، و مساوئ الأخلاق ما أغمز تغماز التين، ولا يقعق لي بالشَّتان، ولقد فررت عن ذكاء، ولقد فتشت عن تجربة، وجريت من الغاية. إنَّ أمير المؤمنين كبَّ كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، وأصلبها عمودا، فوجهني إليكم فإنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي⁽¹⁾). تقسم بنيته إلى خمس حجج و نتيجة.

قدم "الحجاج بن يوسف" جملة من الحجج المتنوعة، لكي يبرر لأهل العراق سبب اختيار أمير المؤمنين له، ليكون واليا على العراق، وسبب تفضيله على غيره.

الحجة الأولى	←	ما أغمز تغماز التين
الحجة الثانية	←	لا يقعق لي بالشَّتان
الحجة الثالثة	←	لقد فررت عن ذكاء
الحجة الرابعة	←	لقد فتشت عن تجربة /وجريت من الغاية
	←	مقدمة أولى + مقدمة ثانية
الحجة الخامسة	←	إنَّ أمير المؤمنين كبَّ كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا و أصلبها عمودا

النتيجة ← فوجهني إليكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي.

1- الكناية:

ويعرّفها السكاكي بقوله "الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك"⁽²⁾.

⁽¹⁾ الجاحظ، البيان و التبيين، مج 1-2، ص 202.

⁽²⁾ السكاكي، مفتاح العلوم، ص 402.

الفصل التطبيقي: بذية المأخوذ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

واعتمد "الحجاج بن يوسف" على الكناية في الحجج الآتية:

الحجة الأولى ← ما أغمر تغماز التين

و هذه العبارة كناية عن فطنة "الحجاج بن يوسف" التي تمكنه من مواجهة الدسائس و الفتن المنتشرة في العراق. وفي ثنايا هذا التعبير تلميح بقصد المرسل، الذي يدركه المتلقي من خلال التعبير، أي تميز الحجاج بالفطنة يؤهله أن يكون واليا على العراق.

الحجة الثانية ← لا يقعع لي بالشنان.

نجد لفظة (الشنان) دلالتها هي "القربة البالية تستخدم لإفزاز الناقة حتى تسرع السير".⁽¹⁾ حيث نقل المتكلم هذه الإحالة المادية إلى إحالة أخرى معنوية.

فالعبارة كناية على صعوبة خداع "الحجاج"، و يدرك المتلقي هذه الإحالة من خلال التعبير، ليصل إلى قصد المرسل وهو إظهار صفة أخرى تؤهله أن يكون واليا على العراق.

الحجة الثالثة ← لقد فررت عن ذكاء.

ولفظة (الذكاء) دلالتها هي "نهاية الشباب وتمام السن".⁽²⁾

أما العبارة فهي كناية على كمال عقل "الحجاج" بعد أن تجاوز مرحلة الشباب، وبإدراك المتلقى لهذا المعنى، يدرك سببا آخر أهل "الحجاج" في تولي هذا المنصب.

الحجة الرابعة ← ولقد فتشت عن تجربة وجريت من الغاية.

هذه الحجة مركبة من مقدمتين:

* المقدمة الأولى ← لقد فتشت عن تجربة.

فالوحدة اللغوية (تجربة) تشير إلى أن "الحجاج بن يوسف" صاحب تجربة تمكنه من التعامل مع مختلف الظروف السائدة في العراق.

وهذه العبارة كناية عن تجربة "الحجاج" الواسعة التي تؤهله أيضا أن يكون واليا.

* المقدمة الثانية ← وجريت من الغاية

فالوحدة اللغوية (الغاية) معناها هي "قصة تنصب في الموضع الذي يحدد مسافة السباق"⁽³⁾، إذ مثل "الحجاج نفسه بالمتسابق السريع الذي يصل إلى مكان انتهاء السباق قبل أصحابه.

(1) (2) (3) (الهامش) الجاحظ، البيان و التبيين، مج1-2، ص 202.

الفصل التطبيقي: بذية الملقوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

وظف المرسل الكناية، ليوضح قدرته في الوصول إلى هدفه بسرعة.
و كل من المقدمة الأولى و الثانية تخدم حجة واحدة وهي التأثير في المتلقي و إقناعه بأن "الحجاج" يملك المؤهلات التي تجعل منه واليا على العراق.

2- الاستعارة:

الحجة الخامسة ← إن أمير المؤمنين كبّ كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها
عوذا، وأصلبها عمودا

ويصور في هذا التركيب اللغوي أمير المؤمنين، وهو يأخذ كنانته ليختار منها أفضل سهم موجود فيها، و هي إحالة واقعية للفظ، أريد بها دلالة على معنى جديد يدركه المتلقي من استحضاره الصورة، حيث يصل من خلال ذلك إلى قصد المرسل، وهو اختيار أمير المؤمنين "للحجاج" أن يكون واليا على العراق، وتفضيله على بقية أصحابه.
واستعملت الاستعارة لتكون حجة قوية تدعم الحجج التي قبلها، وتصل بالمرسل إلى تحقيق هدفه الحجاجي و هو تبرير قضية أمام المتلقي.

3- التوكيد:

استعمل المتكلم جملة من أساليب التوكيد، التي تدل على معرفة سابقة مشتركة بين المتكلم و السامع.

ففي قوله (إني و الله يا أهل العراق، و الشقاق و النفاق، و مساوئ الأخلاق، ما أغمز تخماز التين، و لا يققع لي بالشنان).

وظف في لهذا التركيب اللغوي ثلاثة أنواع من التوكيد (إن، التوكيد بالقسم، التوكيد اللفظي)، ويستعملها المرسل ليؤكد حججه التي يضمنها أحكام مخالفة لما يعتقد المتلقي.

واستعمل المتكلم التوكيد في قوله (لقد فررت عن ذكاء، و لقد فنشت ...)، وأدوات التوكيد في التركيب هي "لام" التوكيد، و"قد" التحقيقية، حيث توسل بهما المرسل ليثبت الأحكام المتضمنة للحجج المقدمة.

و يقصد المرسل باستعمال أنواع من التوكيدات إلى إثبات حججه، وأما التكنيف في الاستعمال، فيهدف به المرسل إلى لفت انتباه المتلقي و التأثير فيه لاستمالته عند تقديم حججه.

4- السلم الحجاجي:

كان قصد المرسل في تقديم الحجج المتنوعة، هو التأثير على المتلقى و إقناعه، بأنه يمتلك الكفاءات التي تؤهله أن يكون واليا على العراق.

فالحجج المستعملة تسير في اتجاه حجاجي واحد وتخدم نتيجة ظاهرة في هذا الملفوظ الآتي (فوجهني إليكم، فانكم طالما أوضعتم في الفتن و اضطجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن العي). وهي نتيجة إيجابية، فقد حقق المرسل هدفه الحجاجي.

وترتب الحجج على السلم الحجاجي، حسب الكفاءات التي أهلت "الحجاج بن يوسف" للفوز بمنصب (الوالي)، كما يلي:

الكفاءات التي أهلت "الحجاج بن يوسف"، ليكون واليا على العراق.

إنّ أمير المؤمنين كبّ كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني
أمرها عودا، و أصلبها عمودا.
لقد فتشت عن تجربة، وجريت من الغاية .
لقد فررت عن ذكاء.
لا يققع لي بالشنان.
ما أغمز تخماز التين.

المقطع الخامس:

إن بنية الملفوظ الحجاجي (أما و الله لأحوتكم لحو العصا، و لأعصبنكم عصب السلمة، و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل "قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون")⁽¹⁾ تقسم بنيته إلى أربع حجج، ونتيجة ضمنية.

⁽¹⁾ الجاحظ، البيان و التبيين، ص 202، 203.

الفصل التطبيقي: بنية الملفوظ الحجاجي، للخطبة في العصر الأموي

- الحجة الأولى ← لأحونكم لحو العصا.
الحجة الثانية ← لأعصبتكم عصب السّلامة
الحجة الثالثة ← لأضربنكم ضرب غرائب الإبل.
الحجة الرابعة ← فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون".

1- التشبيه:

استحوذ التشبيه على بنية الملفوظ الحجاجي، أما عن علاقة التشابه يقول الطرابلسي هي "التقارب الذي يحدث بين الموصوف و الصورة الواصفة رغم انفصالها في الأصل".⁽¹⁾

وسأتبع الأبعاد الحجاجية لتشبيه فيما يلي:

الحجة الأولى ← لأحونكم لحو العصا.

و قد تمثل "الحجاج بن يوسف" نفسه في الصورة، بأنه سيزيل الجلد عن أجسامهم كما تزال القشرة عن العصا، حيث نقلت الدلالة المادية للعبارة إلى الدلالة المعنوية وهي تصوير التهديد في أشد قسوته.

فإن الصورة التي رسمها المرسل موجهة إلى المتلقى ليحلل مضمونها، وبذلك يحدث التأثير و الإقتناع بقدرة المرسل على تنفيذ تهديده و وعيده.

الحجة الثانية ← لأعصبتكم عصب السّلامة.

والوحدة اللغوية (السلمة) دلالتها هي شجرة ذو شوك ودلالاتها في العبارة هي خطورتها على الإنسان الذي يقترب منها لأنها شجرة تحمل أشواك.

فنقلت الصورة المادية (لأعصبتكم عصب السّلامة) إلى صورة أخرى معنوية، تتمثل في تهديد "الحجاج بن يوسف" بخطورة عقابه.

وجسد المرسل الصورة لكي يدرك المتلقى ويقنتع بتنفيذ المرسل لتهديده و وعيده.

الحجة الثالثة ← لأضربنكم ضرب غرائب الإبل.

ويشبه "الحجاج بن يوسف" في هذه الصورة ضربه لأهل العراق بضرب غرائب الإبل.

و وظف المرسل هذه الصورة للتأثير في المتلقى و إقناعه بأنه سينفذ نوع آخر من العقاب.

⁽¹⁾ محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص 142.

الفصل التطبيقي: **بندية الملقوظ الحجاجي، الخطبة في العصر الأموي**
الحجة الرابعة ← **فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من**

كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون".

إن الحجة نص من القرآن، تصنف ضمن الحجج الجاهزة، أي أنها سابقة لخطبهم، و حصر أرسطو الحجج الجاهزة في "تصوص القوانين، ومركز الشهود، و العقود و الالتزامات، و الاعتراف القسري تحت تأثير التعذيب، واليمين، وهذه الأدلة. مع وصفها بغير الفنية، و ليست مختصة بصناعة الخطابة. يستطيع الخطيب الإفادة منها في النصح و التحذير، و كذلك في الاتهام و الدفاع." (1)

فقد إعتد المتكلم على النص القرآني حيث أقام التشبيه بين مجموعة من الثنائيات، نوضحها في الجدول الآتي.

النص القرآني	حرف التشبيه	النتيجة
القرية	الكاف	العراق
أهل القرية	الكاف	أهل العراق
كفر أهل القرية بنعم الله	الكاف	جحود أهل العراق بنعم ولاتهم
عقاب الله عزوجل	الكاف	عقاب الحجاج بن يوسف
الجوع و الخوف	الكاف	الجوع و الخوف

و يدرك المتلقى بالتشبيه مقاصد المرسل، الذي يحاول تثبيت حجته باستمالة المتلقي و التأثير فيه، و إقناعه بأنه سينفذ تهديده بالعقاب.

واستعمل المرسل التشبيه ليثبت حججه، و يستميل المتلقي و يؤثر فيه بصورة التشبيه، ثم يقنعه، بتنفيذ أنواع العقاب.

(1) بدوي طبانة، النقد الأدبي عند اليونان، ص 156.

2- التوكيد:

استعمل المتكلم، لإثبات حجج الملفوظ، أنواع من أساليب التوكيد (القسم، لام التوكيد، نون التوكيد).

- أما و الله لأحوثكم لحو العصا.

- لأعصبنكم عصب السلّمة.

- لأضربنكم ضرب غرائب الإبل.

وكل من أنواع العقاب المتضمنة في الحجج، استعمل فيها المرسل التوكيد لتثبيتها في ذهن المتلقي و إقناعه بتنفيذها.

3- الأفعال اللغوية:

إنّ الأفعال اللغوية التي وظفها المرسل في الملفوظ ، أفعال مباشرة في قوله (لأحونكم....لأعصبنكم....لأضربنكم). ويقصد بها إلى التهديد وتنفيذ الوعيد، و تصنف ضمن الأفعال الالتزامية، حيث يلزم المتكلم نفسه بتنفيذ هذه الأنواع من العقاب في المستقبل.

وحقق المرسل فعله الانجازي على مستوى الملفوظ لتوفر شروط الاستعلاء و السلطة في "الحجاج بن يوسف"، فمقامه الاجتماعي و السياسي يعطيه السلطة الكاملة في إصدار أفعال التهديد و الوعيد على مستوى الملفوظ.

فتدعم الأفعال الالتزامية المتوفرة في الملفوظ حجج المرسل وتمكنه من الوصول إلى مقاصده الحجاجية.

4- السلم الحجاجي :

يكون ترتيب الحجج على السلم الحجاجي، حسب قوتها، و تمثل الحجة الرابعة في أعلى السلم الحجاجي، لأنها حجة قويّة، استمدت قوتها من القرآن الكريم إذ "تكتسب الحجج قوتها من قوة مصادرها"⁽¹⁾، ثم تدرج الحجج الأخرى في مراتب دون مرتبة هذه الحجة، إذ تعد الحجج الأخرى أضعف منها قوة.

و تمثل الحجج على السلم الحجاجي كمايلي:

(1) الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 544.

تمديد "الحجاج بن يوسف" بتنفيذ أنواع من العقاب.

فانكم لكأهل "قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون"

لأضربنكم ضرب غرائب الإبل

لأعصبنكم عصب السلمة

لألحونكم لحو العصا

و تسير هذه السلسلة من الحجج في اتجاه حجاجي واحد، و قدمت لتخدم نتيجة ضمنية واحدة، و تمثل قصد المرسل لتحقيق هدفه الحجاجي، و هو التأثير في الملتقى و إقناعه بتنفيذ تهديده و وعيده.

المقطع السادس :

إن الملقوظ الحجاجي (إني و الله لا أعد إلا وفيت، و لا أهم إلا أمضيت، و لا أخلق إلا فريت)⁽¹⁾ تقسم بنيته إلى ثلاث حجج، نتيجتها ضمنية.

الحجة الأولى ← لا أعد إلا وفيت .

الحجة الثانية ← لا أهم إلا أمضيت .

الحجة الثالثة ← لا أخلق إلا فريت.

1- العطف:

إن دلالات العطف في التركيب اللغوي الاشتراك في الحكم، ونلاحظ أن البنية اللغوية للملقوظ تتكون من ثلاث جمل معطوفة على بعضها بحرف العطف "الواو"، و تظهر القيمة الحجاجية للعطف في البنية، عندما عطف المتكلم (لا أخلق إلا فريت) على الجملتين (لا أعد إلا

⁽¹⁾ الجاحظ، البيان و التبیین، مج1-2، ص 203.

الفصل التطبيقي: **بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
 وفيت، ولا أهم إلا أمضيت)، إذ تتضح صورة الاسترسال بالسامع إلى حد التأثير فيه، ثم إقناعه
 بأنه سينفذ وعيده.

2- التوكيد:

استعمل المرسل صيغة التوكيد بإنّ و القسم (إني و الله ...) ليثبت حججه، و التي مفادها
 التأثير في المتلقي، و إقناعه بأنه سينفذ تهديده و وعيده.

3- التركيبة اللغوية للحجج:

ينقسم التركيب اللغوي للملفوظ، إلى ثلاثة جمل، يتكون كل منها من نفس العناصر و هي:
 حرف نفى، وفعلين، و أداة حصر كما ستوضح ذلك في الجدول الآتي:

حرف نفى	فعل	أداة حصر	فعل + تاء المتكلم
لا	أعد	إلا	وفيت
لا	أهم	إلا	أمضيت
لا	أخلق	إلا	فريت

ويلاحظ من الناحية النحوية، التأثير الذي يحدث بين الأداة حيث أن "إلا" أداة استثناء، تغير
 وظيفتها النحوية، عند دخول أداة النفي "لا" على الجملة، وتنقله إلى وظيفة أخرى هي الحصر،
 فيكون الفعل (أعد) محصور بالفعل (وفيت) و الفعل (أهم) محصور بالفعل (أمضيت)، و الفعل
 (أخلق) محصور بالفعل (فريت)، و هكذا تشترك الجمل الثلاثة على المستوى اللغوي، في
 حكمها الإعرابي، أمّا على مستوى الملفوظ يصل بها المرسل إلى نتيجة مشتركة، وهي إثبات
 حججه، بأنه سينفذ وعيده، وكذلك التأثير في المتلقي، واستدراجه لتغيير مواقفه.

4- السلم الحجاجي:

تسير هذه الحجج في اتجاه حجاجي واحد، كما سيوضح ذلك، و تمثيل الحجج على السلم
 الحجاجي كما يلي:

تنفيذ "الحجاج بن يوسف" لتمديدته ووحده

لا أخلق إلا فريت.

لا أهم إلا أمضيت.

لا أعد إلا وفيت.

المقطع السابع:

إنّ بنية الملفوظ الحجاجي (فإيأي وهذه الجماعات، وقال و قيل، وما تقولون؟ وفيم أنتم وذلك؟ أما و الله لتستقيمنّ على طريق الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده، من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، و انتهبت ماله)⁽¹⁾ تقسم بنيته إلى ثلاثة حجج تختلف في بنيته على الحجج السابقة، حيث نجد لأسلوبي السؤال و الشرط في الملفوظ دور حجاجي.

الحجة الأولى ← فإيأي وهذه الجماعات، وقال و قيل، وما تقولون؟ وفيم أنتم وذلك؟

الحجة الثانية ← أما و الله لتستقيمنّ على طريق الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم

شغلا في جسده.

الحجة الثالثة ← من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، انتهبت ماله.

1- الاستفهام:

الحجة الأولى ← فإيأي وهذه الجماعات، وقال و قيل، وما تقولون؟ وفيم أنتم وذلك؟

وتقسم الحجة إلى مقدمتين:

* المقدمة الأولى ← فإيأي وهذه الجماعات و قال و قيل، و ما تقولون؟ إن الوحدة

اللغوية (إيأي) تقديريها (حذاري)، فالاستفهام في العبارة جاء لغرض التحذير. لأنّ المتكلم يحذر

السامع من قضية معينة.

و استعملت كلمة (الجماعات) للدلالة على كثرة الفرق السياسية، أما عبارة (قال و قيل، و ما

تقولون؟) استعملت للدلالة على كثرة الفتن.

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها

الفصل التطبيقي: **بندية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
فكان "الحجاج بن يوسف" يحذر أهل العراق من إتباع الفرق السياسية المعارضة للحكم الأموي، و تجنب الفتن و الدسائس السائدة في العراق.

فاستعمل المرسل هذا السؤال الحجاجي لتأثير في المتلقي و إقناعه بالابتعاد عن الفرق السياسية المعارضة للحكم الأموي، وتجنب الدسائس و الفتن السائدة في المنطقة.

* المقدمة الثانية ← و فيم أنتم وذلك؟

إنّ هدف المرسل من طرح السؤال على المتلقي، هي محاولة لاستدراجه، كي يعرف موقف المتلقي من القضية التي طرحها من قبل قضية الفرق السياسية و الفتن. و الذي حدد العلاقة بين المتلقي و القضية هي إشارية الذات "أنتم" (أهل العراق)، و إشارية المكان "ذلك"، و قصد بها المرسل مكان صراع الأحزاب السياسية و الفتن. و قصد المرسل بالسؤال الحجاجي التأثير في المتلقي و استمالته لإقناعه بالابتعاد عن الأحزاب السياسية و تجنب الفتن.

2- الشرط:

الحجة الثانية ← أما و الله لتستقيمنّ على طريق الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده.

هذه الصيغة اللغوية شرطية، تبدأ بالقسم (أما و الله) الذي يفيد الشرط، و تقسم إلى جملة الشرط، و جواب الشرط.

و استعملت عبارة (طريق الحق) للدلالة على إتباع الحكم الأموي، فحوّلت هذه العبارة من حكم عام إلى حكم خاص، و عبارة (شغلا في جسده) هي دلالة مادية يجسد فيها نوع العقاب، و هي دلالة على شدة و قسوة العقاب. إذ يلزم المرسل المتلقي على مستوى الملفوظ بالخضوع إلى الشرط. فالمرسل يقصد استمالة المتلقي و التأثير فيه، و إقناعه بأنّه سينفذ عقابه في حالة مخالفة شرطه.

الحجة الثالثة ← من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، و انتهبت ماله.

هذه الصيغة اللغوية أيضا شرطية، تتكون من حرف الشرط "من"، و جملة الشرط، و جواب الشرط.

الفصل التطبيقي: **بذبة الملقوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
أشار المتكلم إلى اسم شخص (المهلب) و يقصد به أحد أتباع الشيعة و هو المهلب بن أبي
صفرة الأزدي، واستعملت (سفكت، انتهبت) ودلالاتهم. توحى بقسوة وشدّة في العقاب.
فالمرسل يبنى حجته على الشرط، للتأثير في المتلقى، و إقناعه أن عدم التزامه بالشرط
سيؤدي بالمرسل إلى تنفيذ عقابه.
وتسير الحجج في اتجاه حجاجي واحد، و نتيجتها ضمنية، تتمثل في قصد المرسل الذي يعد
بتنفيذ عقابه بشتى أنواعه، إذ لم يخضع المتلقى إلى أوامره.

3- السلم الحجاجي:

ترتب الحجج على السلم الحجاجي حسب قوتها، التي تتحدد من خلال نوع العقاب، فالحجة
الأولى اكتفى المرسل فيها بالتحذير دون ذكر أي نوع من العقاب، أما الحجة الثانية فصرح فيها
بنوع واحد من العقاب، أما في الحجة الثالثة أشار المرسل فيها إلى نوعين من العقاب.
و تمثل الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

تنفيذ الحجاج بن يوسف الأنواع من العقاب

من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه، انتهبت ماله.
أما و الله لتستقيمنّ على طريق الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم
شغلا في جسده.
فإيأي وهذه الجماعات، وقال و قيل، وما تقولون؟ وفيم أنتم
وذلك؟

المبحث الثاني: بنية الملفوظ المجازي لخطبة "أبي حمزة الشاري" في أهل المدينة

لقد اهتم الخطيب "أبو حمزة الشاري" (المرسل)، بكيفية عرض الحجج و بيانها في خطبته (الرسالة)، لأنه يهدف إلى استمالة أهل المدينة (المتلقى)، لما يعرضه عليهم، و إقناعهم بقضيته، وهي أنّ الخوارج أولى بالخلافة على المسلمين من غيرهم. كما تنوعت الأشكال الاستدلالية في بنية الملفوظ، وتعددت الحجج و الأدلة المقدمة في كلّ مرّة بين استحضر للنصوص القرآنية، واستحضر للشخصيات و الأحداث التاريخية في عرض حججه، لأنّ هذا النوع من الحجج و الأدلة يمثل الخلفية الثقافية المشتركة بين الخطيب (المرسل)، و أهل المدينة (المتلقى)، و باستعمال هذا النوع من الحجج يضاعف المرسل تأثيره على المتلقى، و إقناعه بتغيير أفكاره و مواقف.

و بدأ المرسل خطابه بالحمدلة و البسمة، و ذلك لتهيئة نفسه لعقد التواصل مع المتلقى، و بعد الحمدلة أشار المرسل إلى سبب إلقاءه هذه الخطبة، للفت انتباه المتلقى و استمالاته للاستماع إلى قضيته (الموضوع)، باستعمال الأدلة و القرائن التاريخية. منطلقاً من رأيه في النبي (ص) و الخلفاء الراشدين، إلى أن وصل إلى وصف أتباعه من الخوارج.

1- الصفة:

اختار المرسل الصفات للتأثير على أفكار المتلقي، و إقناعه بأفكاره، و يقول في ذلك "بيرلمان" كما ذكره الشهري "لا يخلو اختيار اللقب، أو إطلاقه من قصد حجاجي، إذ لا يقصد به تصنيف الموصوف بالنظر إلى السمات التي تشركه مع العناصر التي ينتمي إليها فحسب، و لكنّه يعبر غالباً، عن تحديد موقفه منه، و طريقة الحكم عليه و معالجته"⁽¹⁾ وليحدد أبو حمزة مواقفه من شخصيات و فرق إسلامية، استعمل الصفات، لكي ينفذ من خلالها إلى إصدار أحكامه، و تثبيت حججه.

و تقسم بنية الملفوظ الحجاجي بالاعتماد على الصفات إلى نوعين:

1- الصفات الدالة على المساوي:

- صفات معاوية ابن أبي سفيان.
- صفات يزيد بن معاوية .
- صفات يزيد بن عبد الملك.
- صفات بنو أمية.
- صفات الشيعة.

2- الصفات الدالة على المحاسن:

- صفات الرسول صلى الله عليه و سلم.
- صفات الخلفاء الراشدين (أبو بكر، عمر، عثمان، علي رضي الله عنهم).
- صفات أتباع أبو حمزة أي الخوارج.

⁽¹⁾ الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 487.

1-1- الصفات الدالة على المساوي:

1-1-1- صفات معاوية بن أبي سفيان:

وصف أبو حمزة معاوية في قوله (ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله و ابن لعينه، فاتخذ عباد الله خولا، و مال الله دولا، و دينه دغلا، ثم مضى لسبيله، فالعنوه لعنه الله"⁽¹⁾) ورد النعت جملة في عبارة (لعين رسول الله و ابن لعينه) و هي إحالة إلى حادثة واقعية إذ"جاء أبو سفيان على جمل أحمر يقود عتبة ابنه و يسوقه معاوية، فرأهم الرسول، فقال"اللهم العن الراكب، و القائد، و السائق"⁽²⁾ فهي إشارة من المتكلم أن معاوية بن أبي سفيان قد لعنه من قبل الرسول (ص)، و أراد المتكلم بذلك، أن يثبت هذه الصفة في ذهن السامع، رغم أن الحادثة كانت قبل دخول معاوية في الإسلام.

و كذلك ورد النعت جملة في قوله (فاتخذ عباد الله خولا)، (و مال الله دولا)، (ودينه دغلا)، و في هذه الجمل دلالات على أن معاوية استعبد الناس و جعلهم خدما، و أكل مال المسلمين، و كذلك كان مفسدا، و باغيا في دينه. و اعتمد المرسل على الوصف المسترسل لكي يستميل المتلقي، و يقنعه بصواب رأيه في معاوية بن أبي سفيان بإظهار صفاته السيئة، فهو رجل لا يصلح لخلافة المسلمين.

1-1-2- صفات يزيد بن معاوية:

و وصف أبو حمزة أيضا يزيد في قوله (ثم ولي يزيد بن معاوية: يزيد الخمر، يزيد القرود، و يزيد الفهود، الفاسق في بطنه، المأبون في فرجه، فعليه لعنة الله و ملائكته)⁽³⁾ استعمل المتكلم النعت (يزيد الخمر) للدلالة على ارتكاب يزيد للمحارم و استعمل صيغة الكثرة (الخمر) و هي إشارة إلى المبالغة في احتساء يزيد للخمر أما في العبارتين (يزيد القرود)، (يزيد الفهود) فهما دلالة على أن يزيد يقتنى القرود و الفهود، ليلهو بها. و في هذا النعت تكرار للمعاني لا ستمالة المتلقي و التأثير فيه، و إقناعه بترف و لهو يزيد بن معاوية.

(1) الجاحظ، البيان و التبیین، مج 1-2، ص 80

(2) ابلبا حاوي ، فن الخطابة، ص 325

(3) الجاحظ، البيان و التبیین، مج 1-2، ص 80

الفصل التطبيقي: **بندية المأبون المجاجي للخطبة في العصر الأموي**
و في العبارتين (الفاسق في بطنه)، (المأبون في فرجه) نجد أيضا تكرار للمعاني للدلالة على أن يزيد يتمتع نفسه بنعيم الشهوة

فيقصد المتكلم بإظهار صفات يزيد بن معاوية ليؤكد أنه رجل ترف و لهو بعيد عن العناية بأمر الحكم التي تتطلب رجل ذو حكمة و رصانة.
و يعتمد المرسل على النعوت التي يضيف عليها بعدا حجاجيا الغرض منه التأثير في المتلقي، و إستمالته لا قناعه بمواقفة إتجاه يزيد بن معاوية فهو في نظر "أبو حمزة" رجل لا يصلح للخلافة مثل أبيه.

1-1-3- صفات يزيد بن عبد الملك:

وصف أبو حمزة يزيد بن عبد الملك في قوله (ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في دينه المأبون في فرجه، الذي لم يؤنس منه رشد، و قد قال الله تعالى في أموال اليتامى: "إنا أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم"(النساء 2)، فأمر أمة محمد عليه السلام أعظم يأكل الحرام و يشرب الخمر، و يلبس الحلة قومت بألف دينار، قد ضربت فيها الأبخار، و هتكت فيها الأستار و أخذت من غير حلها حباة عن يمينه، و سلامة عن يساره تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه، ثم التف إلى إحداهما فقال: ألا أطير ألا أطير! نعم فطر إلى لعنة الله، و حريق ناره، و أليم عذابه)⁽¹⁾

و العبارتان (الفاسق في بطنه) و (المأبون في فرجه) دلالة على إسراف يزيد بن عبد الملك في المجون و ارتكاب الحرام.

و استعمل المتكلم جملة النعت (لم يؤنس منه رشد) للدلالة على أنه يأكل مال اليتامى، و ليؤكد للسامع على اتصاف يزيد بن عبد الملك بهذه الصفة الدنيئة، يستشهد بأية من القرآن، و بذلك يحو الشك من ذهن السامع.

و أما العبارات (يأكل الحرام) و (يشرب الخمر) و (يلبس الحلة)، و (حباة عن يمينه، و سلامة عن يساره) فيها إحالات من المتكلم، الذي ينقل السامع عبر هذه التراكيب إلى تفاصيل من حياة يزيد بن عبد الملك الذي أسرف في المجون، فقد شرب الخمر و لبس الحلي و جالس المغنيات من أمثال حباة و سلامة.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 80:81

الفصل التطبيقي: ===== **بنية المانحوظ المجازي للخطبة في العصر الأموي**
و اعتمد المرسل على الاستغراق في الوصف لاستمالة المتلقي و التأثير فيه و إقناعه بأن
يزيد بن عبد الملك رجل لهو و ترف لا يصلح للخلافة.

1-1-4- وصف بنو أمية:

في قوله (و أما بنو أمية ففرقة الضلالة، بطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنة، و يقضون
بالهوى، و يقتلون على الغضب، و يحكمون بالشفاعة، و يأخذون الفريضة من غير موضعها،
و يضعونها في غير أهلها و قد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف، فقال: " إنما الصدقات
للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله
و ابن السبيل"(التوبة 60) فأقبل صنف تاسع ليس منها فأخذها كلها. تلك الفرقة الحاكمة بغير ما
أنزل الله)⁽¹⁾

لقد أكثر المتكلم من إيراد النعوت في بنى أمية (فرقة ضلالة)، (بطشهم بطش جبرية)،
(يأخذون بالظنة)، (يقضون بالهوى)، (يقتلون على الغضب)، (يحكمون بالشفاعة)، و هذه النعوت
فيها دلالة على استجلاء المتكلم لرؤيته في بني أمية، حيث وصفهم بالطش، و الظلم لرعيته،
و عدم الحكم بالعدل.

و أما عبارة (يأخذون الفريضة من غير موضعها، و يضعونها في غير أهلها) يشير فيها
المتكلم إلى أن بنو أمية لا يحسنوا تأدية الصدقات، إذ يستند إلى تأكيد ذلك لسامع باستحضار آية
من القرآن ليمحو بها الشك من ذهن السامع. لا يكتفي بذلك بل يتهم بنو أمية بإستلائهم على
الصدقات التي هي ملك للفقراء و المساكين كما توضح ذلك الآية.

و هذا الاستجلاء للمعاني من الصفات فيه تأثير عميق على السامع لا قناعه، بأن خلافة بنو
أمية، خلافة ظالمة.

يسرد المرسل الصفات الدالة على سخطه لبني أمية، من أجل التأثير في المتلقي، و استدرجه
لتغيير نظرته للخلافة الأموية.

1-1-5- وصف الشيعة:

وصف أبو حمزة الشيعة في قوله (و أما هذه الشيع فشيعة ظهرت بكتاب الله، و أعلنوا
الفرية على الله، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين، و لا بعلم نافذ في القرآن، و ينقمون

⁽¹⁾ مصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها

الفصل التطبيقي: بنية المأخوذ المجازي للخطبة في العصر الأموي

المعصية على أهلها، و يعملون إذا و لوا بها. يصرون على الفتنة، و لا يعرفون المخرج منها، جفاة عن القرآن، أتباع كهان(.....)، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون)
(1)

و عبارة (يصرون على الفتنة) فيها دلالة على أن الشيعة تثير الفتن، و وصفهم المتكلم بأنهم (جفاة على القرآن) (أتباع كهان) و هذا التابع في النعتين للدلالة على أن أهل الشيعة لا يرجعوا إلى القرآن في قضاياهم بل إلى أهوائهم و إلى الكهان.

و أما عبارة (يؤملون الدول في بعث الموتى و يعتقدون الرجعة)، فيها دلالة على أن أهل الشيعة منتظرون رجعة الموتى قبل الساعة.

فيسرد المرسل هذه المبادئ التي تقوم عليها فرقة الشيعة، من أهمها إيمانهم برجعة الموتى قبل الساعة، و هي مبادئ منافية للدين الإسلامي، وظفها المتكلم للتأثير في المتلقي و إقناعه بفساد رأي و مبادئ الشيعة فهي أيضا لا تصلح للخلافة.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 81.

2- الصفات الحالية على المماس:

2-1- صفات الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد وصف أبو حمزة الرسول (ص) أيضا في قوله (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يتأخر و لا يتقدم إلا بإذن الله و أمره و وحيه، أنزل الله كتابا بين له فيه ما يأتي و ما يتقى، و لم يك في شك من دينه، و لا شبهة من أمره، ثم قبضه الله و قد علم المسلمون معالم دينهم) (1)

وعبارة (لا يتأخر و لا يتقدم إلا بإذن الله و أمره و وحيه) فيها دلالة على اتباع النبي طريق الهدى، و لا يتقدم عن أمر و لا يتأخر عنه، إلا بإرادة الله. و أما عبارة (علم المسلمون معالم دينهم) فيها دلالة على أن "النبي قد أوفى إلى الكمال في خلافة الله على ولاية المسلمين" (2).

فقد المرسل إلى التذكير بخصال النبي للتأثير على المتلقي و استمالته و ليتمكن المتلقي أيضا من عقد المقارنة بين خلافة النبي و خلافة بنو أمية، ليدرك المتلقي مدى فساد هذه الأخيرة.

2-2 - صفات الخلفاء الراشدين:

2-2-1- وصف أبو بكر رضي الله عنه:

وصف أبو حمزة أبو بكر في قوله (ولى أبا بكر صلاتهم، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله أمر دينهم، فقاتل أهل الردة، و عمل بالكتاب و السنة، فمضى لسبيله رحمة الله عليه) (3)

فاستعمل المتكلم العبارتين (قاتل أهل الردة) و (عمل بالكتاب و السنة)، للدلالة على رضى أبى حمزة عن أعمال أبى بكر رضى الله عنه.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 80

(2) إيليا حاوي، فن الخطابة، ص 324

الفصل التطبيقي: **بذية الملقوظ المجاجي للخطبة في العصر الأموي**
و يذكر المرسل بأهم خصال وصفات أبو بكر، ليفسح المجال أمام المتلقى ليدرك أن سلوكيات خلفاء بنو أمية بعيدة عن سلوكيات أبو بكر، فما على المتلقى إلى تغيير رؤيته اتجاه خلفاء بنو أمية.

2-2-2- وصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

وصف أبو حمزة عمر (رضى الله عنه) في قوله (ثم ولي عمر بن الخطاب رحمه الله، فسار بسيرة صاحبه، و عمل بالكتاب و السنة، و جبي الفيء، و فرض الأعطية، و جمع الناس في شهر رمضان، و جلد في الخمر ثمانين، و غزا العدو في بلادهم، و مضى لسبيله رحمة الله عليه)⁽¹⁾

و استعمل المتكلم العبارات (عمل بالكتاب و السنة) و (جبي الفيء) و (فرض الأعطية)، و (جمع الناس في شهر رمضان)، و (جلد في الخمر ثمانين) و (غزا العدو في بلادهم)، للدلالة على رضى أبو حمزة عن أعمال عمر بن الخطاب.

اعتمد المرسل على تتابع و توالي النعوت للتأثير في المتلقى، و استدراجه كي يدرك الفرق بين سلوكيات بنو أمية و الخلفاء الراشدين.

2-2-3- وصف عثمان بن عفان رضى الله عنه:

وصف أبو حمزة عثمان (رضى الله عنه) في قوله (ثم ولي عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه؛ و كان دونهما، ثم سار في الست الأواخر بما أحبب به الأوائل، ثم مضى لسبيله)⁽²⁾

و عبارة (فسار ست سنين بسيرة صاحبيه) فيها إشارة من المتكلم الذي ألحق صفات عثمان بن عفان بصفات صاحبيه، فقد رضى أبو حمزة عن أعمال عثمان بن عفان في الست سنين الأولى، و لكنه أشار إلى عدم رضاه عنه في الست السنين الأواخر. فقصد المرسل إلى التأثير في المتلقى و استمالته لتغيير مواقفه.

(1)،(2)،(3) الجاحظ، البيان و التبیین، مج1-2، ص 80

2-2-4- وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

و وصف علي كذلك في قوله (ثم ولي علي بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قصدا، و لم يرفع له منارا)⁽³⁾

و استعمل المتكلم عبارة (لم يبلغ من الحق قصدا)، و هي إشارة إلى أن علي بن أبي طالب لم يحسن التصرف في واقعة صفين عندما رضى بالتحكيم، و في عبارة (لم يرفع له منارا) دلالة على أن علي بعد حادثة صفين انتزعت منه الخلافة بالخداع.

فقصد المرسل التأثير في المتلقي، بتذكيره أن معاوية بن أبي سفيان خدع علي بن أبي طالب، و انتزع منه الخلافة التي هي حق له.

2-3- صفاء الخوارج:

2-3-1- وصف طهارة الخوارج و تقواهم:

وصف أبو حمزة طهارة الخوارج و تقواهم في قوله (شباب و الله مكتهلون في شبابهم، غبية عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم)⁽¹⁾

ورد النعت في عبارة (شباب و الله مكتهلون في شبابهم) و ذلك للدلالة على تعقل أصحاب أبو حمزة و رزانتهم، و بعدهم عن الطيش و اللهو و المجون، فأبو حمزة بين أول صفة يمتاز بها أتباعه هي الرزانة و التعقل، و هي الميزة المفقودة عند خلفاء بني أمية.

فيهدف المرسل بوصفه إلى استمالة المتلقي و التأثير فيه لأن وصف كمال عقل أصحابه، بهذه الطريقة يكون أدعى إلى الإقتناع.

و استعمل المتكلم في العبارتين (غبية عن الشر أعينهم) و (ثقيلة عن الباطل أرجلهم)، الوصف المادي للدلالة على ما هو معنوي، و استعمل لفظة (غبية) التي معناها هو غضيضة للدلالة على إغضاء الخوارج النظر إلى الشر، و المقصود هو تنكرهم له، فهم يغضون أبصارهم عم يوقعهم في خطيئة النفس، أما عبارة (ثقيلة عن الباطل أرجلهم) استعملت للدلالة على تجنب الباطل و الابتعاد عن الشر.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 81

الفصل التطبيقي: **بندية الملقب المجازي للخطبة في العصر الأموي**
فيصف أبو حمزة أتباعه بالتقوى و الطهارة، في حين وصف بنو أمية بصفات اللهو و المجون.

ويريد المرسل بهذا الوصف التأثير في المتلقى، و إقناعه بتقوى و طهارة أتباعه فهم أصلح للخلافة، من بني أمية.

2-3-2- وحده محادثهم:

فقال (أنضاء عبادة و أطلاح سهر، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، و إذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه.موصول كلا لهم بكالهم كلال الليل بكلال النهار قد أكلت الأرض ركبهم و أيد يهم، و أنوفهم و جباههم)⁽¹⁾

ورد النعت في العبارة (أنضاء عبادة و أطلاح سهر)، فنجد لفظة (أطلاح) استعملت للدلالة على الهزل، و وردت في العبارة للدلالة على أن أتباع أبو حمزة يقيمون الصلوات، في الليل حتى هزلت أجسادهم من كثرة تعبدهم، و يكرر المتكلم معنى هذه العبارة في العبارة التي تليها (ينظر إليها في جوف الليل منحنية أصلابهم، عن أجزاء القرآن)، إذ يقصد المتكلم التأثير في المتلقى، و إقناعه بأن أتباعه يؤثرون السهر في العبادة على النوم.

و لم يكتف المتكلم بذلك، إذ استرسل في وصف دقيق لأتباعه و هم يتعبدون و يقرؤون القرآن (كل ما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، و إن مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه) و فيها دلالة على أن أتباعه يتعبدون من أجل الوصول إلى الجنة، و يؤثرون الآخرة على الدنيا.

و استعملت عبارة (موصول كلا لهم بكالهم: كلال الليل بكلال النهار) للدلالة على عدم انقطاع أتباع أبو حمزة في التعبد، و المرسل في هذه الصورة يحاول التأثير في المتلقى و إقناعه بتقوى أتباعه و مواصلتهم في العبادة دون انقطاع.

و يكرر المرسل معنى العبارة السابقة في العبارة التي تليها كي لا يترك شك في ذهن السامع، فمن كثرة عبادتهم (قد أكلت الأرض ركبهم و أيديهم، و أنوفهم و جباههم) و هذا

⁽¹⁾ مصدر السابق نفسه، ص 81، 82

الفصل التطبيقي: **بندية المأخوذ المجازي للخطبة في العصر الأموي**
وصف مادي مباشر للدلالة على أن أتباع أبو حمزة يسجدون سجوداً شديداً تقرحت منه وجوههم، و هذه إشارة إلى إيمانهم و تقواهم في أداء العبادات.

2-3-3- وصف جماد الخوارج:

وصف أبو حمزة جهادهم في قوله (و استقلوا ذلك في جنب الله، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، و الرماح قد أشرعت و السيوف قد انتضيت، و رعدت الكتيبة بصواعق الموت و برقت، استخفوا بوعيد الكتبية لوعد الله، و مضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، و تخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض، و انحطت عليه طير السماء، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، و كم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ثم قال: آه آه ثلاثا ثم بكى و نزل)⁽¹⁾

و استعملت عبارة (و رعدت الكتبية بصواعق الموت و برقت، استخفوا بوعيد الكتبية لوعد الله) للدلالة على أن أتباع أبو حمزة يستخفون بوعيد الكتبية، و لا يخشوا الموت في سبيل الله. فقصد المرسل باستحضار الصورة إلى التأثير في المتلقي و إقناعه بأن أتباع أبو حمزة لهم الشجاعة ليقدموا أرواحهم في سبيل الله.

و اعتمد المرسل لإستمالة المتلقي و التأثير فيه و إقناعه إلى التفصيل و تكرار المعاني فعبارة (حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، و تخضبت بالدماء محاسن وجهه) و هي صورة واقعية نقلها المتكلم للتأثير في السامع بحيث يصف له صاحبه و هو ميت فوق فرسه و الدماء على وجهه، و لم يتوقف عند هذا الحد من الوصف و أخذ يسترسل (فأسرعت إليه سباع الأرض، و انحطت عليه طير السماء) فاستعمل الوصف المادي لتحويل الصورة في ذهن السامع و إقناعه بورع و تقوى أصحاب أبو حمزة و بسالتهم في الجهاد و الموت في سبيل الله.

و بعد أن أوصل المتكلم السامع إلى قمة التأثر و التأثير برسمه لذلك المشهد المروع الذي استحضر معالمه من الواقع، يأتي إلى وصف أدق من السابق في عبارة (فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، و كم من كف زالت عن معصمها

⁽¹⁾ مصدر السابق نفسه، ص 81 ، 82

الفصل التطبيقي: ===== بنية المأخوذ المجازي للخطبة في العصر الأموي
طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله) إذ عمد إلى الوصف الدقيق لما سيحدث
لجنث أصحابه بعد موتهم في ساحة الجهاد، و هدفه التأثير في السامع و استمالته.
و استعمل المرسل الوصف الدقيق لاستدراج المتلقى و التأثير فيه، و إقناعه أن أصحابه من
الخوارج يمتازون بالتقوى و الإيمان، يعشقون الجهاد و الموت في سبيل الله.

2- الأفعال اللغوية:

إن الأفعال المتوفرة في الملفوظ هي أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام و هي أفعال إخبارية" و الغرض الانجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعابر بها عن هذه الواقعة. و أفعال هذا الصنف كلها تحتل الصدق و الكذب و اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم"⁽¹⁾

و الأفعال الإخبارية في الملفوظ تضم الأفعال و العبارات التي تصف الشخصيات التاريخية، حيث يذكرهم المرسل و يصدر عليهم أحكامه باستعمال أفعال الأحكام، كما يبدي أيضا آراءه في الشخصيات باستعماله لأفعال الإيضاح.

أ- أفعال الإيضاح: و هذه الأفعال "تستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض، و التشكيك، و الإنكار، و الموافقة، و التصويب، و التخطئة"⁽²⁾ و اعتمد عليها المرسل في توضيح وجهة نظره، و بيان رأيه و ذكر حججه للمتلقي، و كان وجودها بقوة في الخطاب مثل قوله:
- (إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان لا يتأخر و لا يتقدم إلا بإذن الله و أمره ووحيه).

- (فسار بسيرة صاحبه، عمل بالكتاب و السنة،....)

- (أنشاء عبادة و أطلاق سهر)

- (ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن)

- (فشيح ظهرت بكتاب الله)

ب- أفعال الأحكام: و هي الأفعال "التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم"⁽³⁾

و قد اعتمد عليها المرسل أيضا في الحكم على الشخصيات التاريخية، فيحكم تارة بالرضي، و يحكم تارة أخرى بالسخط على الشخصيات التي يذكرها، و نجد ذلك في قوله:
- (فلم يبلغ من الحق قصدا)

(1) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 78،79

(2) (3) المرجع نفسه، ص 46

الفصل التطبيقي: بديهة الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

- (ولم يرفع له منارا)

- (الذي لم يؤنس من رشد)

- (لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين)

- (بطشهم بطش جبرية)

- (يأخذون بالظنة)

قد حقق المرسل غرضه الانجازي على مستوى الملفوظ لأنه نقل صفات الشخصيات و الأحداث بكل أمانة.

و دور الأفعال الإخبارية على مستوى الملفوظ تقوية العلاقة الحجاجية، بين عناصر الحجاج، و دعم المرسل للوصول إلى هدفه الحجاجي، و هو التأثير في المتلقي، و إقناعه بتغيير أفكاره، و مواقفه اتجاه هذه الشخصيات التي ذكرها.

3- العطف:

استعمل المتكلم أدوات العطف في ملفوظه و نذكر من أهمها حرف "ثم" الذي يفيد العطف و الترتيب في قوله (ثم ولى عمر بن الخطاب... ثم ولى عثمان بن عفان ... ثم ولى على بن أبي طالب ... ثم ولى معاوية...).

فوظف حرف العطف كرابط حجاجي عمله ترتيب الحجج وفقا للتسلسل الزمني للأحداث و الشخصيات التاريخية.

و تسير حجج الملفوظ، في اتجاه حجاجي واحد، وفقا للتسلسل الزمني للأحداث و الشخصيات التاريخية، و هدفها الحجاجي التأثير في المتلقي، و إقناعه بتغيير نظرتة للخلافة الأموية

اعتمد المرسل على السرد التاريخي في عرض حججه، و أعطى للمتلقي فرصة التفضيل بين الشخصيات التي تمتلك الكفاءة لتولي خلافة المسلمين.

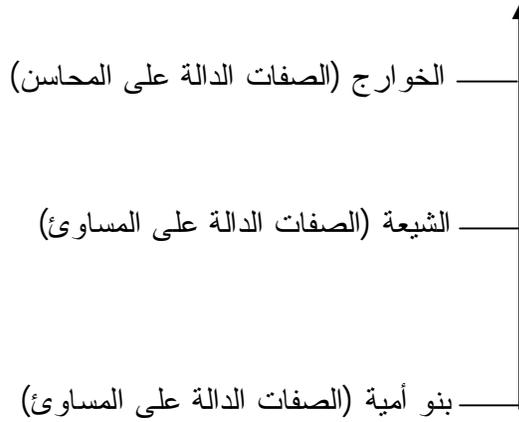
و قصد المرسل هو الوصول إلى غايته، و هي دعم قضيته التي تتمثل في أن الخوارج أصلح للخلافة من غيرهم، بعد أن قدم أهم مبدأ تقوم عليه سياسة الخوارج، و هو مبدأ حرية اختيار الخليفة، و إمكانية استبداله في حالة خروجه على طريق الله و سنة رسوله (ص).

الفصل التطبيقي: **بذية الملقوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**

4- السلم الحجاجي:

ترتب الحجج على السلم الحجاجي وفقا للصفات، فالصفات الدالة على المحاسن تمثل في أعلى مرتبه من السلم في حين تمثل الصفات الدالة على المساوي في أدنى السلم الحجاجي كما يلي:

الخلافة لمن كانت صفاته تشبه صفات النبي (ص) و الخلفاء الراشدين



الفصل التطبيقي: **بنية الملفوظ المجازي للخطبة في العصر الأموي**
المبحث الثالث: بنية الملفوظ المجازي لخطبة عبد الله بن عباس يردّ على عبد الله بن

الزبير وقت عاب بنّي هاشم:

لقد عاب عبد الله بن الزبير بنّي هاشم، و ذلك حين لم يذكر الرسول (ص) في خطبته، فلما عاتبه قومه، قدّم لهم حجج يبزر فيها موقفه، و أهم حجة قدمها لإظهار بغضه لبني هاشم أنّهم بيت سوء، لا أولّ لهم و لا آخر.

ولما وصل الخبر عبد الله بن عباس انبرى لردّ عليه، ودحض حججه، فانطلق في محاججته، من حيث أخفق عبد الله بن الزبير، حيث اتهم بني هاشم بأنّهم بيت سوء لا أول لهم ولا آخر.

ولردّ هذه الحجة ودحضها، قدم عبد الله بن عباس مجموعة من الحجج، نقدمها فيما يلي:

1- العجة الأولى:

يقول ابن عباس في قوله (و الله إن أولّ من أخذ الإيلاف و حمى عيرات قريش لهاشم).⁽¹⁾ لقد استعمل المتكلم لفظة (الإيلاف) للدلالة على التجارة حيث كانت قريش تبتاع السلع مع العرب والأعاجم.

ويحمل التذكير بعد حجاجي حيث يذكر المتكلم بأن أولّ من عمل في التجارة و تبادل السلع مع العجم هي قبيلة قريش.

فقد اعتمد المرسل على ذكر تجارة قريش للتأثير في المتلقي و استمالته ليقبل حجته.

2- العجة الثانية:

يقول ابن عباس (و إنّ أولّ من سقى بمكة عذبا، و جعل باب الكعبة ذهباً)⁽²⁾ استعمل المتكلم لفظ (عذبا) إشارة منه إلى ماء زمزم أمّا عبارة (جعل باب الكعبة ذهباً) التي تشير فيها لفظة (ذهباً) إلى قيمة هذا الإنجاز، و قيمة و عظمة من أنجزه حيث أنّ "عبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم، و استخرج ما كان فيها مدفوناً، و ذلك غزالان من ذهب كانت جره دفنتهما فيما ذكر حين أخرجت من مكة و أسياف قلعيه "ومرج القلعة محرقة:

⁽¹⁾ أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، لبنان، ج1، ط1، د.ت، ص 121.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 122

الفصل التطبيقي: **بنية المأخوذ المجازي للخطبة في العصر الأموي**
موضع بالبادية إليه تنسب السيوف" و أذراع، فجعل الأسياف باب الكعبة، و ضرب في الباب
الغزالين صفائح من ذهب، فكان أول ذهب حلية فيما قيل الكعبة".⁽¹⁾
فيذكر المرسل بالإنجاز الذي قام به عبد المطلب، فمن خلال شخصه يردّ الاعتبار إلى بني
هاشم، و بذلك يؤثر على المتلقي لتغيير نظرته لبني هاشم.

3- الحجة الثالثة:

يقول ابن عباس (إذ قالوا، و خطباءهم إذا خطبوا، وما عدّ مجد كمجد أولنا، و لا كان قريش
مجد لغيرنا).⁽²⁾
لقد استحضر المتكلم في هذه الحجة كلام الخطباء (وما عدّ مجد كمجد أولنا، و لا كان قريش
مجد لغيرنا)، فإن لفظة (أولنا) توحى بأن قريش لها أصول و أمجاد منذ القدم لهذا يفتخر
الخطباء بأمجاد الأولين منهم.
وقصد المرسل التأثير في المتلقي بالاستشهاد بكلام الخطباء لأنّ الخطيب له مكانة مرموقة
في المجتمع و كلامه له تأثير قويّ على مواقف و أفكار قومه.

4- الحجة الرابعة:

يقول ابن عباس في قوله (حتى اختار الله تعالى لها نورا، و بعث لها سراجا، فانتجبه طيبا
من طيبين، لا يسبّ بمسبة، و لا يبغى عليه غائلة فكان أحدنا و ولدنا و عمنا و ابن عمنا ، ثم إنّ
أسبق السابقين إليه مئا، و ابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا و لعمركم).⁽³⁾
لقد اعتمد المتكلم على الصفات العامة في قوله (نورا)، (سراجا)، (طيبا من الطيبين)، وذلك
للدلالة على عظمة هذا الشخص الذي يتحدث عنه ثم ينتقل إلى الصفات الخاصة بإطلاق الألقاب
الآتية (أحدنا)، (ولدنا)، (عمنا)، (ابن عمنا) للدلالة على أنّ من يتحدث عنه هو الرسول صلى
الله عليه وسلم.
وقصد المرسل بالانتقال من الوصف العام إلى الخاص لاستدراج المتلقي كي يدرك أنّ
بشتمه لبني هاشم سيسبّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

⁽¹⁾ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج 2، ص 179.

⁽²⁾ أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب، ج1، ص122.

الفصل التطبيقي: بندية المأخوذ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي

و استعمل عبارة (إنَّ أسبق السابقين إليه منّا و ابن عمنا) للدلالة على أن أوّل من آمن بالرسول (ص) هو ابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إذ كان أوّل من اعتنق الإسلام كان ينتمي إلى بني هاشم، وفي عبارة (ثم تلاه في السّبق أهلنا و لحمنا و احدا بعد واحد) للدلالة أنّ أوّل من اتبعوا محمد (ص) كانوا جميعا من بني هاشم.

لقد اعتمد المرسل على الشرح و التفصيل لإثارة إدراك المتلقي و إثبات بأن الأولين هم أشرف و عظماء بني هاشم و العرب.

5- الحجة الخامسة:

يقول ابن عباس (و اعجبا كلّ العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم، و إنّما شرف هو و أبوه و جدّه بمصاهرتهم، و أما و الله إنه لمصلوب قريش، ومتى كان العوّام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب؟ قيل للبلغل: من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس" ثم نزل).⁽¹⁾ و تقسم هذه الحجة إلى مقدمتين:

* المقدمة الأولى ← و إنّما شرف هو أبوه و جدّه بمصاهرتهم.

فإنه لا يحق لابن الزبير شتم قريش، لأنّه بذلك قد شتم جدّته و أمّه و زوجته. فالمتكلم يثير إدراك المتلقي على أن ما يفعله ليس صوابا.

* المقدمة الثانية ← ومتى كان العوّام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد

المطلب؟ قيل للبلغل من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس.

استعمل المتكلم في المقدمة الثانية المثل الذي له بعد حجاجي يدركه المتلقي عندما يفسر هذا المثل، و قصد به المتكلم أنّ عبد الله بن الزبير عندما يسأل عن نسبه، سوف يقول أن أخوالي هم بني هاشم.

6- السلم الحجاجي:

تسير الحجج التي قدمها المرسل في اتجاه حجاجي واحد، وهو الردّ على ابن الزبير الذي عاب بني هاشم، فيثبت له عبد الله بن عباس أن بني هاشم ليسو بيت سوء لا أوّل لهم و لا آخر بل هم من أشرف و عظماء العرب. و ترتب هذه الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

⁽¹⁾ أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب، ج1، ص122.

إثبات أن بني هاشم من أشرف من أئمة العرب

و إنما شرف هو و أبوه و جدّه بمصاهرتهم، ومتى كان
العوامّ بن خويلد يطمعخالي الفرس.

حتى اختار الله تعالى لها نوراواحد بعد واحد.

إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عدّ مجدّ كمجد أولنا،
ولا كان قريش مجدّ لغيرنا.

وإنّ أولّ من سقى بمكة عذبا، وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد
المطلب.

و الله إنّ أول من أخذ الإيلاف و حمى عيرات قريش
لهاشم.

الفصل التطبيقي: **بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**

المبحث الرابع : بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة "عبد الله بن الزبير" في قتل أخيه مصعب
لقد اتسمت خطبة "عبد الله بن الزبير" بملامح حجاجية رغم أن الخطيب في مقام عزاء، يعزي نفسه و ذويه بمقتل أخيه مصعب.

و غرض عبد الله بن الزبير (المرسل)، من إلقاءه الخطبة (الرسالة) هو التأثير في عواطف أتباعه (المتلقي)، ونقل المتكلم مشاعره بالاعتماد على الأقوال المضمره، فهناك أسباب محددة في مقام التواصل، تمنع المتكلم من التصريح، لأن المقام مقام عزاء بالدرجة الأولى، كما أن "عبد الملك بن مروان" قاتل أخيه مصعب له مكانة إجتماعية و سياسية مرموقة تمنع المتكلم من التصريح بأرائه في هذه الشخصية.

و هدف المرسل الحجاجي ، إقناع المتلقي بأن قوة و جبروت "عبد الملك بن مروان" قاتل أخيه مصعب، لن تمنع ابن الزبير و أتباعه من تحقيق ما يريدون، فغاية المرسل هو دفع المتلقي للإقدام على الفعل أي مواجهة الأعداء.
كما طغى على تراكيب الملفوظ التقابل، فاستعمله المرسل للتأثير على المتلقي و استمالته لتبني أفكاره و مواقفه.

1- التقابل:

يستعمل المتكلم التقابل لاستمالة السامع و إقناعه بحججه، يعمل التقابل على تضخيم الفكرة، حيث يكون معنى الجملة يقابل معنى الجملة التي تليها، و يكون ذلك بالشرح و التفصيل أو بالتضاد.

المقطع الأول:

يقول ابن الزبير (الحمد لله الذي له الخلق و الأمر، و ملك الدنيا و الآخرة، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء)⁽¹⁾
أراد المتكلم استمالة السامع منذ الوهلة الأولى، بالاعتماد على التضاد في عبارة (ملك الدنيا و الآخرة)، و للتأثير أكثر على السامع استعمل التقابل في عبارة (يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء) ثم يليها تقابل آخر في عبارة (و يعز من يشاء، و يذل من

(1) الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك، ج 6 ، ص166

الفصل التطبيقي: **بذية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**
يشاء)، و استعمل المتكلم التقابل للدلالة على الإيمان القوى لابن الزبير وصبره ، حيث وقف صامدا أمام هذا المصاب الجلل.

و اعتمد المرسل على تتابع عبارات التقابل للتأثير في المتلقي و استمالاته لتبنى أفكاره و موافقه.

المقطع الثاني:

يقول ابن الزبير (ألا و إنه لم يذل الله من كان الحق معه و إن كان فردا،و لم يعزز من كان وليه الشيطان و حزبه و إن كان معه الأنام طرا)⁽¹⁾

فقد استعمل المتكلم التقابل بالشرح و التفصيل للدلالة على أن قوة عبد الملك بن مروان و كثرة أتباعه لن تمنحه نصره الله، لأنه على باطل، أما عبد الله بن الزبير و أتباعه رغم قتلهم لن يجرموا تأييد الله و نصره لهم، لأنهم على حق، فهذا الأخير يحفز أتباعه على مواجهة عبد الملك بن مروان و جيوشه.

فاستعمل المرسل التقابل بالشرح و التفصيل للزيادة التأثير في المتلقي، و إقناعه بمواجهة العدو، لأن النصر سيكون حليفهم .

و يتركب الملفوظ من حجتين استمدهما المتكلم من الثقافة الدينية، لأن الله عزوجل، كان ينصر الرسول (ص) على جيوش الكفار رغم قلة أتباعه من المسلمين، أما نتيجتهما فهي ضمنية.

الحجة الأولى ← لم يذل الله من كان الحق معه و إن كان فردا.

الحجة الثانية ← لم يعزز من كان وليه الشيطان و حزبه و إن كان معه الأنام طرا.

شرح:

الحجة الأولى ← لم يذل الله، عبد الله بن الزبير لأنه على حق رغم قلة أتباعه.

الحجة الثانية ← لم يعز الله، عبد الملك بن مروان لأنه على باطل رغم قوته.

⁽¹⁾ المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها

الفصل التطبيقي: **بنية المأخوذ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي**

النتيجة الضمنية: الله سينصر عبد الله بن الزبير و أتباعه.

السلم الحجاجي:

و ترتب هذه الحجج على السلم الحجاجي كمايلي:

سينصر الله عبد الله بن الزبير و أتباعه

لم يذل الله، عبد الله الزبير لأنه على حق رغم قلة أتباعه

لم يعز الله، عبد الملك بن مروان لأنه على باطل، رغم قوته

المقطع الثالث:

يقول ابن الزبير (ألا و إنه قد أتانا من العراق خبر حزننا و أفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة، و أما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة)⁽¹⁾

لقد استعمل المتكلم التضاد في عبارة (خبر حزننا و أفرحنا) للدلالة على فزعه العظيم بالخبر، و استعمله أيضا لاستمالة السامع و التأثير فيه ثم يأتي المتكلم إلى التقابل بالشرح و التفصيل في عبارة (فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة، و أما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة) للدلالة على شعوره العميق بالحزن يعبر عبد الله بن الزبير عن عميق إحساسه بهذه الفاجعة، حيث يوضح أن حزنه منبعه لوعة الفراق التي يتحداها بالصبر، و أما فرحه و سروره مصدره أن أخاه مصعب، قد استشهد في سبيل الله و جزاءه الجنة.

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها

الفصل التطبيقي: **بذبة الملقوظ المجاجي للخطبة في العصر الأموي**
فاستعمل المرسل التقابل للتأثير في المتلقى و إقناعه و دفعه إلى الاستشهاد في سبيل الله حيث يهون عليه فراق الأحبة، لأن الاستشهاد في نظره هو الأعظم.

المقطع الرابع:

يقول ابن الزبير (ألا إن أهل العراق أهل الغدر و النفاق، أسلموه و باعوه بأقل الثمن، فإن يقتل ، فإننا و الله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، و الله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية و لا الاسلام و ما نموت إلا قعصا بالرماح، و موتا تحت ظلال السيوف) (1)

وقد استعمل المتكلم عبارة (ما نموت على مضاجعنا) للدلالة على أن بنو أمية يموتون على فراشهم من غير قتل و لا ضرب و لا حرق أما عبارة (و ما نموت إلا قعصا) للدلالة على أن أبناء الزبير يموتون بالضرب و الرمي، و استعمل لفظة (قعصا) للدلالة على السرعة في الموت.

يريد عبد الله ابن الزبير إظهار شجاعة أبناء الزبير فهم لا يموتون إلا في ميادين الحرب، في حين يصف بنو أمية بالجبن لأنهم يموتون في مضاجعهم.
استعمل المرسل التقابل للتأثير في المتلقى و إقناعه بأن أبناء الزبير يتميزون بالشجاعة و القوة.

المقطع الخامس:

يقول ابن الزبير (فإن تقبل لا أخذها أخذ الأشر البطر، و إن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهين) (2) لقد استعمل المتكلم عبارة (فإن تقبل لا أخذها أخذ الأشر البطر) للدلالة على أن عبد الله ابن الزبير لا يكثر بالخلافة فإن جاءت إليها تقبلها في تواضع دون تكبر و لا غرور. و استعمل عبارة (و إن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهين) للدلالة على أن عبد الله ابن الزبير إن لم يصل إلى الخلافة لن يصب بالدهشة و البهوت و لن يحزن عليها لأن الدنيا فانية. فالمرسل يريد التأثير في المتلقى و استمالته و إقناعه بأن الخلافة من أمور الدنيا، يجب على المؤمن أن يتجاوزها إلى ما هو أهم.

(1) (2) المصدر السابق نفسه، ج6، ص166

المقطع السادس:

الكناية:

و يقول ابن الزبير أيضا (ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه و لا يبيد ملكه)⁽¹⁾

استعمل المتكلم عبارة (الدنيا عارية) للدلالة على أن الحياة فانية و أن الدوام و البقاء لله عزوجل.

و قصد المتكلم بالكناية إلى إثارة إدراك المتلقي لمعناها، و تقبل أفكاره.

2- الأفعال اللغوية:

اعتمد المرسل في الملفوظ على أفعال التعزية للتأثير على المتلقى، و قد صنف سورل هذه الأفعال ضمن الأفعال التعبيرية حيث أن "غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، و ليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي و لا العالم الخارجي يطابق الكلمات و كل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية و يدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، و التهنة، و الاعتذار، و التعزية، و الترحيب"⁽²⁾ و من الأفعال التعبيرية الموجودة في الملفوظ نذكر:

-يؤتي الملك من يشاء

-ينزع الملك ممن يشاء

-يعز من يشاء و يذل من يشاء

-ثم يرعوي من بعد ذوي الرأي و الدين إلى جميل الصبر و كريم العزاء

-ألا و إنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه، و لا يبيد ملكه.

فالمرسل حقق غرضه الإنجازي على مستوى الملفوظ، لتوفر شرط الإخلاص في المرسل الذي عبر بكل صدق و إخلاص عن مأساته و حاول من خلال أفعال التعزية النفوذ إلى مشاعر المتلقى و التأثير فيه. و استعمل المرسل الأفعال التعبيرية للوصول إلى هدفه الحجاجي، و هو التأثير في المتلقى و إقناعه بآرائه و أفكاره.

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 80

الخاتمة

الخاتمة:

إنّ عرض فكرة الحجاج عند العرب القدماء و محاولة مقاربتها مع نظرية الحجاج عند الغرب قد أفضى إلى نتيجة مفادها ضرورة إحياء التراث البلاغي العربي و بعثة من جديد وفقا للدراسات اللسانية الحديثة العربية منها و الغربية على حد سواء.

أما فيما يخص العرض التاريخي للخطبة في العصر الأموي، فكان بمثابة الخلفية التي لا يمكن لمثل هذه الدراسة الاستغناء عنها، خاصة في التعامل مع النصوص العربية القديمة، لأنّ الجانب التاريخي يساعد كثيرا الدارس في تحليل النصوص و الوصول إلى النتائج المتوخاة، و التي نوجزها فيما يلي:

1. إنّ تتبع بنية الملفوظ الحجاجي في النماذج من خطب العصر الأموي يؤكد على وجود رغبة في الانتقال من عصر المفاخرة و المناظرة و السيف إلى عصر الحوار و المناظرة و الإقناع و الاستمالة الإرادية.

2. إنّ أهم ما يميز بنية الملفوظ الحجاجي للخطب، هو تفاعل الجوانب الحجاجية مع الآليات البلاغية، و ظهر ذلك جليا في خطبة "الحجاج بن يوسف.

3. إنّ تحليل بنية الملفوظ الحجاجي للخطب، أبرز مظاهر الإنسجام بين الخطبة و النصوص المنقولة (القرآن الكريم، الشعر).

4. يحتل النص القرآني-(باعتباره حجة جاهزة)- على السلم الحجاجي المرتبة الأعلى، لأنّه يستمد قوته الحجاجية من قوة مصدره، و ما يحتويه من إعجاز لغوي.

5. إنّ اللجوء إلى استخدام الحجج المضمرّة (الأقوال المضمرّة) يرجع إلى أسباب كثيرة تمنع المتكلم من التصريح و ظهر ذلك جليا في خطبة أبي حمزة الخارجي و خطبة عبد الله ابن الزبير.

6. إنّ ترتيب الحجج على السلم الحجاجي لا يكون بصورة نهائية، لأن الترتيب تم حسب رؤية المرسل، فيمكن أن يرتب المتلقي نفس الحجج بطريقة مختلفة عن ترتيب المرسل.

7. و أهم ما يميز بنية الملفوظ الحجاجي هو توظيف أبيات من الشعر في الخطب، فالنص الشعري الذي ينقل تجربة فردية، و الذي وصفه البعض بأنه لعب بالألفاظ، أصبح يهدف كذلك

إلى الحث و التحريض و الإقناع و الحجاج، فهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، و إلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه.

8. لقد اكتسبت النصوص الشعرية عند تحليل بنية الملفوظ الحجاجي وظائف عديدة لأنّ النظرية الحجاجية تعتبر كل نص شعري أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية، وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعاليّة و الوظيفة الحجاجية، و التي يعبر عنها بالتعجب و الندبة و الاستغاثة و الأمر و النداء، أو أسماء الأفعال و الروابط التداولية الحجاجيّة.

9. لم يكن من السهل علينا انتقاء بعض الجمل و الصيغ و تحليل سلمها الحجاجي، و لوحظ ذلك بصورة واضحة عند تحليل الخطب المختارة، بل حتى إنه يصعب تصنيف الحجج على السلم الحجاجي عند الانتقال من بنية حجاجية إلى بنية حجاجية أخرى تنتمي إلى نفس الخطبة و لعل السبب يعود إلى أن الطرح الذي اعتبر الحجاج خاصية مباطنة لكل تخاطب لغوي (مايير، ديكرود) لم تراعى في تعليقاتها الفروق الواضحة بين الأداء الشفاهي و الأداء الكتابي، و بين الاستعمال التواصلي العفوي و الحي للغة و حجاجها و بين الاستعمال التقني و المدروس لهذه اللغة.

الملاحق

خطبة "الحجاج بن يوسف" في أهل العراق (1)

حدثنا محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد عن عبد الله بن أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر، قال:

خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها، في اثني عشر راكبا على النجائب، حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار؛ و قد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية؛ فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر و هو مثلم بعمامة خز حمراء، فقال: علي بالناس! فحسبوه وأصحابه خوارج، فهموا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم قال: (من الوافر).

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
أما و الله إني لأحتمل الشر بحمله و أحذوه بنعله، و أجزيه بمثله، و إني لأرى رؤوسا قد
أينعت و حان قطافها، و إني لصاحبها، و إني لأنظر إلى الدماء ترفرق بين العمائم و اللحي.
قد شمرت عن ساقها فشمرا

ثم قال (من الرجز)

هذا أوان الشد فاشتدى زيم^(*) قد لفها الليل بسواق حطم⁽²⁾
ليس براعى إبل و لاغنم
و قال أيضا: (من الرجز)
قد لفها الليل بعصلي⁽⁴⁾ و لا بجزار على ظهر وضم⁽³⁾
أروع خراج من الدوي⁽⁵⁾

مهاجر ليس بأعرابي

إني و الله يا أهل العراق، و الشقاق و التقاق، و مساوىء الأخلاق، ما أغمز تغماز التين، و لا يقعق لي بالشنان، و لقد فررت عن ذكاء، و لقد فتشت عن تجربة، و جريت من الغاية.

(1) الجاحظ، البيان و التبیین، ج1-2، ص 201، 203

(2) حطم: الحطم يسوق بإصحابه سوقا عنيفا....، و قد أدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول^(*) زيم: اسم ناقته أو فرسه

(3) وضم: كل ما قطع عليه اللحم

(4) عصلي: الشديد الباقي

(5) الدوي: المفازة و هي الدو

إن أمير المؤمنين كعب كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا، و أصلبها عمودا، فوجهني إليكم؛ فإنكم طالما أو ضعتم في الفتن، و اضطجعتم في مرافد الضلال، و سننتم سنن الغي.

أما و الله لألحونكم لحو العصا، و أعصبنكم عصب السلمة، و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون. إني و الله لا أعد إلا وفيت و لا أهم إلا أمضيت، و لا أخلق إلا فريت. فايأي و هذه الجماعات، و قال و قيل، و ما تقولون؟ و فيم أنتم و ذلك؟ أما و الله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده. من وجدت بعد الثالثة من بعث المهلب سفكت دمه، و انتهبت ماله.

خطبة أبي حمزة الخارجي (1)

دخل أبو حمزة الخارجي مكة- و هو أحد نساك الإباضية و خطبائهم، و اسمه يحيى بن المختار- فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية، فحمد الله و أنثى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله (ص) كان لا يتأخر و لا يتقدم إلا بإذن الله و أمره و وحيه، أنزل الله كتابا بين له فيه ما يأتي و ما يتقي، و لم يك في شك من دينه، و لا في شبهة من أمره، ثم قبضه الله و قد علم المسلمون معالم دينهم، و ولى أبا بكر صلاتهم، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله أمر دينهم، فقاتل أهل الردة، و عمل بالكتاب و السنة، فمضى لسبيله رحمة الله عليه.

ثم ولى عمر بن الخطاب رحمه الله، فسار بسيرة صاحبه، و عمل بالكتاب و السنة و جبي الفئ، و فرض الأعطية، و جمع الناس في شهر رمضان، و جلد في الخمر ثمانين، و غزا العدو في بلادهم، و مضى لسبيله رحمة الله عليه. ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه؛ و كان دونهما، ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل، ثم مضى لسبيله .

ثم ولى علي بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قصدا، و لم يرفع له منارا، ثم مضى لسبيله.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 79-82

ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله و ابن لعينه، فاتخذ عباد الله خولا، و مال الله دولا، و دينه دغلا، ثم مضى لسبيله، فالعنوه لعنه الله.

ثم ولي يزيد بن معاوية: يزيد الخمر، يزيد القرود، و يزيد الفهود، الفاسق في بطنه، المأبون في فرجه، فعليه لعنة الله و ملائكته.

ثم اقتصم خليفة خليفة، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه، و لم يذكره ثم قال:

ثم ولي يزيد بن عبد الملك الفاسق في دينه، المأبون في فرجه، الذي لم يؤنس منه رشد، و قد قال الله تعالى في أموال اليتامى:

(فإن آستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) [النساء: 6]، فأمر أمة محمد عليه السلام أعظم يأكل الحرام و يشرب الخمر، و يلبس الحلة قومت بألف دينار، قد ضربت فيها الأبخار⁽¹⁾ و هتكت فيها الأستار، و أخذت من غير حلها، حباية عن يمينه، و سلامة عن يساره تغنيانه، حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه، ثم التفت إلى إحداهما فقال: ألا أطير ألا أطير ! نعم فطر إلى لعنة الله، و حريق ناره، و أليم عذابه.

و أما بنو أمية ففرقة الضلالة، بطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنة، و يقضون بالهوى، و يقتلون على الغضب، و يحكمون بالشفاعة، و يأخذون الفريضة من غير موضعها، و يضعونها في غير أهلها، و قد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف، فقال: (إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفه قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل) [التوبة: 60] فأقبل صنف تاسع ليس منها فأخذها كلها. تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما انزل الله.

و أما هذه الشيع ظاهرت بكتاب الله، و أعلنوا الفرية على الله، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ في الدين، و لا بعلم نافذ في القرآن، و ينقمون المعصية على أهلها، و يعملون إذا و لوا بها.

يصرون على الفتنة، و لا يعرفون المخرج منها، جفاة عن القرآن، أتباع كهان، يؤملون الدول في بعث الموتى و يعتقدون الرجعة إلى الدنيا، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال:

(1) الأبخار: جمع بخر، و بخر جمع بشرة و هي ظاهر الجاد

يا أهل الحجاز، أتعيرونني بأصحابي و تزعمون أنهم شباب؟! و هل كان أصحاب رسول الله (ص) إلا شبابا. أما و الله إني لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم، و لولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم. شباب و الله مكتهلون في شبابهم، غيبة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة و أطلاح⁽¹⁾ سهر، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، و إذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه. موصول كلالهم بكلالهم: كلال الليل بكلال النهار، قد أكلت الأرض ركبهم و أيديهم، و أنوفهم و جباههم، و استقلوا ذلك في جنب الله، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت، و الرماح قد أشرعت، و السيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت و برقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله، و مضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، و تخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت إليه سباع الأرض، و انحطت عليه طير السماء، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله، و كم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله، ثم قال: آه آه ثلاثا ثم بكى و نزل.

خطبة محمد الله بن عباس يرد على محمد الله

بن الزبير و قد حاج بني هاشم⁽²⁾

لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم، و أظهر بغضهم و عابهم، و هم بما هم به في أمرهم، و لم يذكر رسول الله صلى الله عليه و آله في خطبه، لا يوم الجمعة و لا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، و تشاءموا بذلك منه، و خافوا عاقبته، فقال: "و الله ما تركت ذلك علانية إلا و أنا أقوله سرا و أكثر منه، لكنى رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره، أشروا⁽³⁾ أبوا و احمرت ألوانهم، و طالت رقابهم، و الله ما كنت لآتى لهم سرورا و أنا أقدر عليه، و الله لقد هممت أن أخطر لهم خطيرة، ثم أضرمها عليهم نارا، فإنني لا أقتل منهم إلا آثما كفارا سحارا، لا أنماهم الله، و لا بارك عليهم! بيت سوء لا أول لهم و لا آخر، و الله ما ترك بنى الله فيهم

(1) أطلاح: جمع طلح بكسر الطاء و هو الراعي المهزول

(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج1، ص 121، 123

(3) أشروا: مد عنقه ليظهر أو ارتفع

خيرا، استفرغ بني الله با أمير المؤمنين! أنا أول من أعانك في أمرهم". فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال: و الله ما قلت صوابا، و لا هممت برشد، أرهط رسول الله صلى الله عليه و آله تعيب، و إياهم تقتل، و العرب حولك؟ و الله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين، ما سوغه الله لك، و الله لو لم ينصر الناس منك لنصرهم الله بنصره، فقال: اجلس أبا صفوان فلست بنا موسى، فبلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضبا و معه ابنه، حتى أتى المسجد، فقصد قصد المنبر.

فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم قال:

"أيها الناس: إن ابن الزبير يزعم أن لا أول. لرسول الله صلى الله عليه و آله و لا آخر! فيا عجبا كل العجب، لا فترائه و تكذبه! و الله إن أول من أخذ الإيلاف و حمى عيرات قريش لهاشم، و إن أول من سقى بمكة عذبا، و جعل باب الكعبة ذهبيا، لعبد المطلب و الله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش، و إن كنا لقاتلهم إذا قالوا و خطبائهم إذا خطبوا، و ما عد مجد كمجد أولنا، و لا كان في قريش مجد لغيرها، لأنها في كفر ما حق، و دين فاسق، و ضلة و ضلالة في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نورا، و بعث لها سراجا، فانتجبه طيبا من طيبين، لا يسب بمسبة، و لا ينبغى عليه غائله، فكان أحدنا و ولدنا و عمنا و ابن عمنا، ثم إن أسبق السابقين إليه، منا و ابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا و لحمتنا واحدا بعد واحد، ثم إن لخير الناس بعده أكرمهم أديبا، و أشرفهم حسبا، و أقربهم منه رحما.

و عجبا كل العجب لابن الزبير! يعيب بني هاشم و إنما شرف هو و أبوه و جده بمصاهرتهم، أما و الله إنه لمصلوب قريش، و متى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب؟ قيل للبلغ: من أبوك يا بغل؟ فقال: "خالي الفرس" ثم نزل.

خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب (1)

و ذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى، قال: حدثنى مصعب ابن عثمان، قال: لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال:

الحمد لله الذي له الخلق و الأمر، يؤتى الملك من يشاء، و ينزع الملك ممن يشاء، و يعز من يشاء، و يذل من يشاء. ألا و إنه لم يذل الله من كان الحق معه و إن كان الحق معه و إن كان

(1) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج6، 166

فردا، و لم يعزز من كان وليه الشيطان و حزبه و إن كان معه الأثام طرا. ألا و إنه قد أتانا من العراق خبر حزننا و أفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة، و أما الذي حزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر و كريم العزاء، و لئن أصبت بمصعب إلا عبد من عبيد الله و عون من أعواني.

ألا إن أهل العراق أهل الغدر و النفاق، و أسلموه و باعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإننا و الله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص، و الله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية و لا الإسلام، و ما نموت إلا قعصا⁽¹⁾ بالرماح، و موتا تحت ظلال السيوف، ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه و لا يبيد ملكه، فإن تقبل لا أخذها أخذ الأشر البطر، و إن تدبر لا لأبك عليها بكاء الحرق المهين؛ أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم.

(1) القعص: الموت السريع

فهرس

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

1. ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، أحمد محمد الحوفي / بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر للطباعة و النشر، القسم الثالث، ط1، 1962.
2. ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)، تاريخ الكامل، ج5-6.
3. الأصبهاني (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد)، الأغاني، عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، م23.
4. الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي)، النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، القاهرة، ج1، 1963.
5. أحمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، د.ت.
6. أرمينكو فرانسواز ، المقاربة التداولية، علوش سعيد، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986.
7. إرود إيش/د.و.فوكيما/فان ديك/جان كوهن/كبدى فاركا/جان ستاروبانسكي، نظرية الأدب في القرن العشرين، محمد العمرى ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، فبراير 1997.
8. ايليا حاوي ، فن الخطابة و تطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت.
9. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، لبنان، ج1، ط1، د.ت.
10. أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب.
11. أحمد حسن زيات ، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط5، 1999.
12. إنعام نوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع و البيان و المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
13. بدوي طبانة ، النقد الأدبي عند اليونان، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1967.

14. بلاشير جيمس ، تاريخ الأدب العربي، الكيلاني إبراهيم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر/الدار التونسية للنشر، تونس، ج2، ط1، أكتوبر 1986
15. بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريات التداولية، منشورات دار الاختلاف، ط1، 2003.
16. التهانوي (محمد على الفاروقي)، كشاف اصطلاحات الفنون، لطفي عبد البديع، مراجعه أمين الخولي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر/ دار الكتاب العربي، 1963.
17. ثريا عبد الفتاح ملحس ، حزب الشيعة في أدب العصر الأموي، مكتبة المدرسة/ دار الكتاب العلمي/ الدار الإفريقية العربية، لبنان، ط1، 1990
18. الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد)، دلائل الإعجاز، محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الجيل، بيروت، ط1، 2004.
19. الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ط2، 1999
20. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، محمد عبد القادر عطا/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج6، د.ت.
21. جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2000.
22. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، ج5-م5
23. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، أسماء الصحابة الرواة و ما لكل واحد من العدد، سيّد كردي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
24. أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تاريخ الصحابة الذيف روي عنهم الأخبار، بورات الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988.
25. حسن إبراهيم حسن، زعماء الإسلام، ترجم واحد و ثلاثين من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأموي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993.

26. ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) ، مقدمة ابن خلدون، محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، 2006.
27. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء ابناء الزمان، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م2، أكتوبر 1969، م3، فبراير 1970.
28. خالد عبد الرحمان العك ، موسوعة عظماء حول الرسول، ج2
29. الذهبي (شمس الدين بن أحمد بن عثمان) ،تاريخ الأعلام ووفيات المشاهير و الأعلام، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
30. الذهبي (شمس الدين بن أحمد بن عثمان)، الإعلام بوفيات الأعلام، مصطفى بن على عوض/ ربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
31. ابن رشيق (القيرواني)، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط5، 1981
32. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2/ج3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.
33. زامباور، معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، زكي محمد حسن/ حسن أحمد محمود/ كاشف إسماعيل/حمدي أحمد، دار الرائد العربي، بيروت، 1980.
34. السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابن أبو بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
35. السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، لبنان.
36. السحبياني (عبد الحميد بن عبد الرحمن)، صور من سير الصحابة، دار ابن خزيمة، الرياض، ط3، 1994.
37. الشهر ستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد)، الممل و النحل، صدقي جميل العطار، دار الفكر، لبنان، ط2، 2002.

38. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي، دار المعارف، ط16.
39. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، 15 فبراير 1965.
40. صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 2000.
41. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ج2، ج5، ج6، 1963.
42. ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي)، عيار الشعر، عبد العزيز بن ناصر المانع، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، مصر، د.ت.
43. طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
44. الطيب دبه ، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2001.
45. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، الصناعتين الكتابة و الشعر، علي محمد البجاوي/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1986.
46. العسقلاني (شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني)، الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر، ج2، ط1، 1907.
47. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا/ لبنان، ط1، مارس 2004.
48. عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للطبع/المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
49. عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة الأموية، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2002.
50. عمر أو كان ، اللغة و الخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، 2001.
51. عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، أبريل 1983.

52. **عدنان بن ذريل** ، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.
53. **عيد محمد**، الاستشهاد و الاحتجاج باللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988.
54. **فاروق سعيد**، فن الإلقاء العربي الخطابي و القضائي و التمثيلي، شركة الحبلي للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، ط2، 1999.
55. **ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)**، الإمامة و السياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، مصر، د.ت. ج1-2.
56. **القرطاجني (حازم)**، مناهج البلغاء و سراج الأدباء، محمد الحبيب، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981.
57. **لالاندأندريه**، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول A-G، تعريف خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط2، 2001.
58. **ليفى شتراوس كلود** ، الأنثروبولوجيا النبوية، صالح مصطفى، منشورات القومي، دمشق، 1977.
59. **ماجد لحام** ، أعلام المسلمين، عبد الله ابن الزبير العائد ببيت الله الحرام، دار القلم، دمشق، ج 59، ط1، 1995
60. **محمد فكري جزار** ، لسانيات الاختلاف لخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحدائث، ايتراك للطباعة و النشر، ط2، 2002.
61. **محمد العمري** ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب/لبنان، ط2، 2002.
62. **محمد يوسف الكاند هلوي** ، حياة الصحابة، دار الريان، للتراث، القاهرة، ج4، ط1 ، 1987.
63. **محمد الهادي الطرابلسي** ، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1981.
64. **محمد أبو زهرة** ، الخطابة أصولها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة د.ت.

65. محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية،
2002
66. محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية، عصر بني أمية، دار الكتاب اللبناني،
بيروت، ط2، 1987.
67. محمد ظاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام، العصر السياسي، عصر الدولة
الأموية، دار المعارف، القاهرة، ج2، 1967.
68. مصطفى سعيد الحن ، أعلام المسلمين، دار القلم، دمشق، ج15، 1994.
69. مصطفى الشكعة ، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب النثر، الدار المصرية
اللبنانية، ط3، 1993.
70. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة و الأدب، عبد الحميد هندراوي،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج1، ط1، 2003
71. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، عبد الله علي الكبير/محمد أحمد
حسب الله/ هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
72. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، مروج الذهب و معادن الجواهر،
محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، مصر ج1-2، ط3، 1953.
73. هنريش بليت، البلاغة و الأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، العمري
محمد، إفريقيا الشرق، لبنان/المغرب، 1999.

الدوريات و المجلات و الرسائل:

أ- المجلات :

- 75- مجلة اللغة و الأدب، دار الحكمة الجزائر، ع14ديسمبر 1999
-الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية (مقال)
-الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم"سورة النمل نموذجاً" (مقال).
-يحياتن محمد، الأصالة في نظر رضا مالك تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث أو التلفظ
(مقال)
-بوزيده عبد القادر، نموذج المقطع البرهاني (أو الحجاجي) (مقال).
-إيف جانري "Yves jeanneret" نظريات المحاجة، إكتشاف جديد خصب،ترجمة: يحياتن
محمد (مقال)، ع11، ماي 1997
- 76- مجلة عالم الفكر: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت.
- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) و تطوره في البلاغة المعاصرة
(مقال)، مج 28، ع3، مارس 2000
- حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي"عناصر استقصاء نظري"(مقال)، مج 30، ع1،
10سبتمبر 2001.
- 77- مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، ع48، يونيو 1986.
- داود الرز ،كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج (مقال)
- 78- مجلة المشكاة، مجلة ثقافية تعنى بالأدب الإسلامي، ملف العدد: الخطاب القرآني، قراءات
متعددة، ع19، 1994
-أبو بكر العزاوي، البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجاً (مقال).
- ب- الرسائل:
- 79- بوجادي خليفة، خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور" للشاعر الجزائري، عبد القادر
بن محمد بن القاضي (رسالة دكتوراه)، قسنطينة، 2006/2005

80- خديش صالح، لسانيات الملفوظية و دراسة الوصلات في اللغة العربية (رسالة دكتوراه دولة في اللسانيات العامة)، قسنطينة. 2004

المراجع الأجنبية:

- 81-** Piaget(Jean), le structuralisme, Presses, Universitaire de France, Paris, 1974.
- 82-** Ducrot (Oswald) et Anscombe (Jean-Claude) : l'argumentation dans la langue, édition-Mardaya, liege, Bruxelles, 2^{eme} édition , 1988.
- 83-** Mayer (Michel) : logique langage et argumentation, edidion Hachell, Enuversité, 1982, 2^{eme}, Paris.
- 84-** le grand robert : Dictionnaire de la langue Française, T.1, Paris, 1989.
- 85-** longmun : Dictionary of comtemporany english, longman

فهرس الموضوعات

أ	-المقدمة
	-المدخل
2	1- مفهوم البنية
4	2- مفهوم الخطبة
5	3- مفهوم الملفوظ
7	4- مفهوم الحجاج
	الفصل الأول: الحجاج عند العرب القدماء و الغرب
12	المبحث الأول: الحجاج عند العرب القدماء
21	المبحث الثاني: الحجاج عند الدارسيين الغربيين
23	1- الحجاج عند (بيرلمان) و زميله
26	2- الحجاج عند (تولمين)
28	3 الحجاج عند (ديكرو) و زميله
28	الفصل الثاني : الخطابة في العصر الأموي
36	-تمهيد
36	-المبحث الأول: الأحزاب السياسية
37	1- حزب بنى أمية
38	2-حزب الخوارج
39	* المبادئ الأساسية لحزب الخوارج
40	3- حزب الشيعة
40	* المبادئ العامة لحزب الشيعة
41	4- الحزب الزبيرى
42	* المبادئ العامة للحزب الزبيرى
43	-المبحث الثاني: اعتماد الأحزاب السياسية على الخطابة
44	المبحث الثالث: خطباء الأحزاب السياسية
46	1- الحجاج بن يوسف
46	1-1-نسبه و مولوده
46	1-2- نشأته
47	1-3- وفاته
48	1-4-علاقة الحجاج بالسلطة الأموية
48	1-5- الحجاج بن يوسف و اليا على العراق
49	1-6- الحجاج بن يوسف خطيبا
50	2- أبو حمزة الخارجي
51	3- عبد الله ابن عباس
51	3-1 نسبه و مولده

52	3-2 نشأته
53	3-3 وفاته
53	3-4 علاقة عبد الله ابن عباس بابن الزبير
54	3-5 عبد الله ابن عباس خطيباً
54	4- عبد الله ابن الزبير
54	4-1- نسبه و مولده
55	4-2- نشأته
56	4-3- مقتل عبد الله ابن الزبير
57	4-4 علاقة ابن الزبير بالخلافة الأموية
57	4-5- عبد الله ابن الزبير خطيباً
	الفصل التطبيقي: بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي
60	-تمهيد
62	-المبحث الأول: بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة الحجاج بن يوسف في أهل العراق
63	-المقطع الأول:
63	1-الصفة
64	2-الكناية
64	-المقطع الثاني:
65	1-الاستعارة
66	2-الأدوات اللغوية (التوكيد)
67	3-الأفعال اللغوية
69	4-السلم الحجاجي
70	-المقطع الثالث
70	1-التمثيل
71	-المقطع الرابع
71	2-الكناية
73	3-الاستعارة
73	4-التوكيد
74	5-السلم الحجاجي
74	-المقطع الخامس
75	1-التشبيه
77	2-التوكيد
77	3-الأفعال اللغوية
77	4السلم الحجاجي

- 78 1- المقطع السادس
- 78 2- العطف
- 79 3- التوكيد
- 79 4- التركيب اللغوية للحجج
- 79 5- السلم الحجاجي
- 80 -المقطع السابع
- 80 1- الاستفهام
- 81 2- الشرط
- 82 3- السلم الحجاجي
- 83 -المبحث الثاني: بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة"أبي حمزة الخارجي" في أهل المدينة
- 84 1-الصفة
- 84 1-1- الصفات الدالة على المساوى
- 85 1-1-1- صفات معاوية بن أبي سفيان
- 85 2-1-1- صفات يزيد بن معاوية
- 68 3-1-1- صفات يزيد بن عبد الملك
- 87 4-1-1- وصف بنو أمية
- 87 5-1-1- وصف الشيعة
- 89 2- الصفات الدالة على المحاسن
- 89 1-2- صفات الرسول صلى الله عليه و سلم
- 89 2-2- صفات الخلفاء الراشدين
- 89 1-2-2- وصف أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- 90 2-2-2- وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- 90 3-2-2- وصف عثمان بن عفان رضي الله عنه
- 90 4-2-2- وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- 91 3-2- صفات الخوارج
- 91 1-3-2- وصف طهارة الخوارج وتقواهم
- 92 2-3-2- وصف عباداتهم
- 93 3-3-2- وصف جهاد الخوارج
- 95 2- الأفعال اللغوية
- 96 3- العطف
- 97 4- السلم الحجاجي
- 98 -المبحث الثالث: بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة "عبد الله ابن عباس" يرد على "عبد الله ابن الزبير" وقد عاب بني هاشم
- 98 1- الحجة الأولى
- 98 2- الحجة الثانية

99	3- الحجة الثالثة
99	4- الحجة الرابعة
100	5- الحجة الخامسة
100	6- السلم الحجاجي
102	المبحث الرابع: بنية الملفوظ الحجاجي لخطبة "عبد الله ابن الزبير" في قتل أخيه مصعب
102	1- التقابل
102	- المقطع الأول
103	- المقطع الثاني
104	- السلم الحجاجي
104	- المقطع الثالث
105	- المقطع الرابع
105	- المقطع الخامس
106	- المقطع السادس
106	- الكناية
106	2- الأفعال اللغوية
108	- الخاتمة
110	- الملاحق
117	- فهرس المصادر و المراجع
126	- فهرس الموضوعات

ملخص المحاضرة:

لقد ظهر مصطلح البلاغة الجديدة سنة 1958 عنوان أحد الكتب الشهيرة التي قام بتأليفها المفكر البولوني "شابيم بيرلمان" Ch.Perelman تحت إسم "مقال في البرهان": البلاغة الجديدة، و من أهم تيارات البلاغة الجديدة، تيار البلاغة العامة و تيار نظرية الحجاج، و كلاهما يهتمان بالجانب الإقناعي.

أما النظرية الحجاجية، فقد وجدت إرهاباتها التنظيرية الأولى عند الفيلسوف أرسطو في كتابة "الريطوريقا" أي الخطابة، لهذا يصرح "بيرلمان" بأنه اعتمد على البحوث الفلسفية و خاصة المنطق في أبحاثه حول الحجاج الذي وصفه بأنه آلية الإقناع الرئيسة، و الحجاج عنده إذ عان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل لأن أنجع حجة هي التي تقنع المتلقي و تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، فنلاحظ أن بيرلمان في تعريفه يجمع بين الشكل الحجاج و الغاية منه.

و لكن بتطور الأبحاث اللسانية انتقل مركز الإهتمام من الجملة إلى الملفوظ، و باتساع مجال الأفعال الكلامية التي تنتمي إلى علم الدلالة اللسانس، يوسع "أزوالد ديكر و" O.Ducrot " أبحاثه، ففي العديد من مؤلفاته يؤكد على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب التي وضعها "جرايس" H.P Grice و الحجاج.

فقد اتضح مفهوم الحجاج و آلياته عند "ديكر و" و زميله "أنسكومبر" من خلال كتابهما "الحجاج في اللغة" L'argumentation dans la langue " فاهتم "ديكر و" بالحجاج في اللغة، حيث يبرز الحجج بالاعتماد على البنية اللغوية للأقوال، و من نتائج بحوثه السلم الحجاجي، و أما التعامل مع البنية الحجاجية، يكون بتوخي مقاصد عديدة منها الرغبة في التأثير و التوجيه و الإقناع؛ لأن المحاج يحاول التأثير على الملتقى، إما لا بعباده عن الأطروحة النقيض و إما ليعزز رأيه.

كما تناول البحث أيضا فكرة الحجاج عند العرب القدماء و مقاربتها مع نظرية الحجاج عند الغرب، فأفضى ذلك إلى نتيجة مفادها ضرورة إحياء التراث البلاغي العربي و بعثه من جديد وفقا لدراسات اللسانية الحديثة العربية منها و الغربية على حد سواء.

و كان تحليل بنية الملفوظ الحجاجي للخطب المختارة من العصر الأموي هو حجاج مرتبط باللغة بالدرجة الأولى، إذ هو حجاج لساني على نحو ما ذكره "ديكرو" و كذلك هو حجاج مرتبط بعناصر الوضعية التواصلية التي حدد عناصرها "رومان جاكيسون".

و توصل البحث في الأخير إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

إنّ تتبع بنية الملفوظ الحجاجي للنماذج من خطب العصر الأموي يؤكد على وجود رغبة في الانتقال من عصر المفاخرة و المنافرة و السيّف إلى عصر الحوار و المناظرة و الإقناع و الاستمالة الإرادية.

1. إنّ أهم ما يميز بنية الملفوظ الحجاجي للخطب، هو تفاعل الجوانب الحجاجية مع الآليات البلاغية، و ظهر ذلك جليا في خطبة "الحجاج بن يوسف".

2. إنّ تحليل بنية الملفوظ الحجاجي للخطب، أبرز مظاهر الإنسجام بين الخطبة و النصوص المنقولة (القرآن الكريم، الشعر).

3. يحتل النص القرآني- (باعتباره حجة جاهزة)- على السلم الحجاجي المرتبة الأعلى، لأنّه يستمد قوته الحجاجية من قوة مصدره، و ما يحتويه من إعجاز لغوي.

4. إنّ اللجوء إلى إستخدام الحجج المضمرّة (الأقوال المضمرّة) يرجع إلى أسباب كثيرة تمنع المتكلم من التصريح و ظهر ذلك جليا في خطبة أبي حمزة الخارجي و خطبة عبد الله ابن الزبير.

5. إن ترتيب الحجج على السلم الحجاجي لا يكون بصورة نهائية، لأن الترتيب تم حسب رؤية المرسل، فيمكن أن يترتب المتلقي نفس الحجج بطريقة مختلفة عن ترتيب المرسل.

6. و أهم ما يميز بنية الملفوظ الحجاجي هو توظيف أبيات من الشعر في الخطب، فالنص الشعري الذي ينقل تجربة فردية، و الذي وصفه البعض بأنه لعبا بالألفاظ، أصبح يهدف كذلك إلى الحث و التحريض و الإقناع و الحجاج، فهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقى ومعتقداته، و إلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه.

7. لقد اكتسبت النصوص الشعرية عند تحليل بنية الملفوظ الحجاجي وظائف عديدة لأنّ النظرية الحجاجية تعدّ أن أي نص شعري أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية

وظائف أخرى، مثل الوظيفة الانفعاليّة و الوظيفة الحجاجية، و التي يعبر عنها بالتعجب و الندبة و الاستغاثة و الأمر و النداء، أو أسماء الأفعال و الروابط التداولية الحجاجيّة.

8. لم يكن من السهل إنتقاء بعض الجمل و الصيغ و تحليل سلمها الحجاجي، و لوحظ ذلك بصورة واضحة عند تحليل الخطب المختارة، بل حتى أنه يصعب تصنيف الحجج على السلم الحجاجي عند الانتقال من بنية حجاجية إلى بنية حجاجية أخرى تنتمي إلى نفس الخطبة و لعل السبب يعود إلى أن الأطروحة التي اعتبرت الحجاج خاصة مباطنة لكل تخاطب لغوي (مايير، ديكر) لم تراع في تعليقاتها الفروق الواضحة بين الأداء الشفاهي و الأداء الكتابي، و بين الاستعمال التواصلي العفوي و الحي للغة و حجاجها و بين الاستعمال التقني و المدروس لهذه اللغة.